الرحيق المختوم

فى سيرة سيد المرسلين

على عبد العال الطهطاوى

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع : ١٨٢٠٥/ ٢٠٠١

مكتبة الصفا

١٢٧ ميدان الأزهر القاهرة ت : ٥١٤٧٣٢٠

١ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ت : ٥١٤٧٩٧٤/ ٠١٠١٤٣١١١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه.

وبعد،

فلا تزال حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نبعًا صافيًا يستقي منه المؤمنون جيلاً بعد جيل وقرنًا بعد قرن ما يقربهم إلى ربهم عز وجل بامتثال ما كان عليه صلى الله عليه وآله وسلم، ويزدادون به وبما أرسل به إيمانًا.

ويسر مكتبة الصفا أن تقدم لقرائها الكرام هذا الكتاب:

(الرحيق المختوم من سيرة سيد المرسلين)

والذي يتناول جوانب من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصفاته، وأخلاقه، والصلاة عليه...

نسأل الله عز وجل أن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الناشر

مكتبة الصفا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده لله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً ﴾

[النساء: ١]

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً ﴾ [الأحزاب: ٧٠: ٧١].

أما بعد:

إخواني في الله: ما الذي تعرفونه عن حبيبنا محمد ﷺ؟ هو بشر لقول الله تعالى: ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾ [الكهف: ١١٠] ولقوله تعالى: ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ [التوبة: ١٢٨]. أما من ناحية الأفضلية والشأن العظيم فهو أفضل الخلق بل هو الرحمة المهداه للعالمين، بما فيهم الملائكة والإنس والجان لقوله تعالى: ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

معتقدات باطلة حول النبي ﷺ

محمد بشر وليس من نور الله: يقولون: إن محمداً خلق من نور الله، ويعرفونه في كتبهم أنه: نور انبثق وفاض من الله.

ونرد عليهم فنقول: إن زعمهم أن محمداً (نور ابثق من الله ؟) يعوزه دليل من الكتاب والسنة يؤيد هذا الاعتقاد الموروث من اليهود والنصارى ؟ لقد أمر الله رسوله أن يخبرنا أنه بشر مثلنا لكي لا نعتقد أنه نور كما ندعي فقال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠] ويقول له: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٤] ويقول الله تعالى على لسان المشركين الأولين: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾

[المؤمنون: ٣٤]

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: « كلكم لآدم، وآدم من تراب ».

كل هذه الآيات والأحاديث الواضحة تدل على أن محمداً من أولاد آدم المخلوق من تراب، وأنه بشر من ظهر وبطن كما يشهد هو في حديثه « إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» وأنه مرت به جميع أطوار الطفولة كما تمر بكل طفل، وأنه كان يأكل طعام البشر ويشرب شرابهم، كما قال عنه مشركو الجاهلية الأولى: ﴿ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣٣]. وكذلك يقظته، ونومه، ولبسه وكل ما فيه من مظاهر البشرية، مثلنا ولكنهم مع ذلك يكذبون هذه الآيات الواضحات، ويصرون في عناد على موقفهم المخالف لما صرح به كتاب الله وبينته سنة رسوله. ويقولون: خلق من نور الله.

آدم وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام خلقوا من تراب

ومن العجب أننا نخالف النصارى في اعتقادهم الباطل بأن عيسى (ابن الله) إذ نؤمن بأن الله ليس له ولد كما قال الله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ سورة الصمد.

ونؤمن أيضًا أن عيسى عليه السلام خلق من تراب بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩].

العجيب أننا نؤمن بهذا، ونخالف النصارى فيما يعتقدون. ثم نعتقد بأن محمدًا (خلق من نور) وأنه (نور انبثق وفاض من الله) علمًا بان المخلوق من نور الله هو جزء من الله، فكيف ننكر على النصارى عقيدتهم هذه بينما نعتنق نحن نفس العقيدة ونرضاها لأنفسنا؟!

عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام

وعقيدة النصارى في ألوهية عيسى عليه السلام. هي (عقيدة التثليث) التي تقرر أن الإله مركب من ثلاثة أصول هي (الأب والابن والروح القدس) ومعتنقو هذه العقيدة يعرفونها هكذا (الله الأب. والله الابن. والله الروح القدس) وحجتهم في هذه العقيدة هي: أنه ما دام عيسى لم يولد من أب وأم كما يولد سائر البشر، وما دام الله قد ألقى كلمته إلى مريم بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ.... ﴾ الآية [النساء: ١٧١] ما دام الأمر كذلك فلا بد أن يكون عيسى هو ابن الله. ويصبح كل منهما هو عين الآخر. لأن الابن جزء من الأب.. وقد شارك المغالون في محمد ﷺ طائفة النصارى في هذه العقيدة الباطلة. غير أن هناك اختلافًا بسيطًا في طريقة إعلان العقيدة.

فالنصارى تقول عن عيسى: إنه (ابن الله) أما المسلمون فيقولون عن محمد: إنه (نور انبثق وفاض من الله) فاتفقت العقيدتان في المعنى: واختلفتا في التسمية.

محمد ﷺ ليس أول خلق الله

يقولون: - إن محمداً هو أول خلق الله. ويظهرون هذا الاعتقاد الباطل في صيغة الصلاة البدعية التي لم ترد في السنة المطهرة. ويسوقون على ذلك - لمن يطالبهم الدليل - حديثًا اتفق جميع أئمة الحديث على أنه (مكذوب وموضوع). هذا الحديث: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وآدم لا ماء ولا طين».

ونرد عليهم فنقول: إن محمداً ليس أول خلق الله كما تزعمون. بل آدم أول خلق الله[1] بشهادة القرآن الذي لا يستطيع أن ينكره إلا كل جاحد مكابر لا يؤمن بالله.

ألا يعجبهم دليلاً أن الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد خلقه بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾ [الأعراف: ١١:١٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٣٤] وقال تعالى: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥].

ألا يقنعهم أن الرسول ﷺ يقول «كلكم لآدم وآدم من تراب » ؟!

كل هذه آيات وأحاديث تدل على أن آدم أول خلق الله تعالى[1] ، ومع ذلك

---

(١) أي من البشر، وإلا فقد سبقه خلق السموات والأرض وما فيهن.

فهم يصرون في عناد على: أن محمدًا ﷺ هو أول خلق الله. ويجهرون بهذا في الصلاة على النبي ﷺ، فمتى يؤمنون، وبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟!

الكون ليس مخلوقًا من أجل محمد ﷺ

يقولون: إن هذا الكون خلق من أجل محمد ووجد إكرامًا له. ويرددون كلامًا مخترعًا يقولون فيه: لولاك لولاك ما خلقت الأفلاك.

ونرد عليهم فنقول: لقد خلق هذا الكون بما فيه من (إنس وجن) لأجل غاية واحدة، ألا وهي: عبادة الله وحده دون شريك له سبحانه ودون اتخاذ مثيل له. وقد صرح القرآن بهذا في أوضح عبارة، وأجلى بيان، إذ يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦: ٥٧] ويقول سبحانه عن غير الإنس الجن ممن الموجودات ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

نعم.. خلق الله الإنس والجن وكل دابة في الأرض لتدين له وحده بالولاء والطاعة والذل. ورغبة منه سبحانه وتعالى في إظهار عظيم قدرته، وكمال صنعه، وجميل إبداعه. فإن من يقلب نظره في هذا الكون ليشاهد ما فيه ومن فيه، يدرك حقًا قدرة الله التي لا تدانيها قدرة. وعظمته التي لا تحاكيها عظمة. وإبداعه الذي لا يماثله إبداع. ومن هذا يبدو سر خلق الله لهذا الكون البديع النظام المحكم الثابت.

ولا ندري والله كيف يزعمون أن الكون مخلوق من أجل محمد؟. لماذا. خلق الكون من أجله؟ وما السر في هذا؟..

إن محمدًا عليه الصلاة والسلام هو بشر ممن خلق الله. وسبقه كثير من إخوانه الرسل أولي العزم، عليهم جميعًا صلوات الله وتسليماته.

وقد أمرنا الله أن لا نفرق بين أحد من رسله كما قال تعالى: ﴿ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

لا ندري لماذا يفترون على الله هذا الكذب وهم يقرءون آيات الله التي تنطق بعكس ما يزعمون ؟! . إن محمداً لو بعث اليوم من مرقده لتبرأ مما يزعمون.

منزلة الرسول ﷺ في الأمة

أما رسولنا محمد ﷺ، فإننا نبين هنا منزلته وشأنه في الأمة. إن الرسول ﷺ يتساوى مع كل البشر في البشرية فهو مخلوق من تراب مثلنا. وهو بشر من يوم أن ولد إلى يوم مماته. الرسول بشر مثلنا بشهادة القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠] ولكنه مفضل عن جميع البشر.. فلم هذا التفضيل ؟ لأنه رسول الله.. ولأنه أفضل الرسل وخاتمهم.. ولأنه سيد البشر على الإطلاق، وهذا مذكور في القرآن الكريم وفي نفس الآية: ﴿ .. يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وهذا هو سر التفضيل.

الرسول ﷺ بشر مثلنا

إن الرسول بشر مثلنا ولكن بشريته أكمل طراز في البشرية كلها في كل خصائصها ومزاياها. فروحه أطهر الأرواح، ونفسه زكى النفوس. وفطرته أسلم الفطر. وعقله أكبر العقول. وفطنته أنبه الفطن، وتفكيره أوسع من كل تفكير، ورجولته أكمل رجولة، وشجاعته أقوى شجاعة، وقوته أقوى قوة، وقلبه أبر القلوب وأرحمها.. لا يستطيع أحد أن ينكر هذا أبداً. ولكن هذه المزايا والخصائص التي يسمو بها الرسول عنا. لا ينبغي أن تدفعنا إلى الغلو في حبه أكثر من القدر الذي

أمرنا الله به، لأن الإفراط في حبه، والغلو فيه يوصلنا حتمًا إلى درجة تقديسه وتأليهه. وهذا ما يبغضه الله لأنه الشرك به سبحانه وتعالى، وحتى لا يتسرب الشرك إلينا عن طريق تقديس الرسول والغلو في محبته، قال ﷺ محذرًا: «**لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله**».

عزيزي الفاضل أدليت بدلوي في القرآن الكريم وسنة الحبيب ﷺ وأخرجت لك كتابنا الرحيق المختوم اقرأ وتدبر ولله الحمد والمنة.

الشيخ/ علي أحمد عبد العال الطهطاوي

رئيس جمعية أهل القرآن والسنة

أسماء النبي ومعانيها

فصل في شرح معاني أسمائه ﷺ

أما محمد: فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد إذا كان كثير الخصال التي يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فإن محموداً من الثلاثي المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذي يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا والله أعلم سمي به في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم وقد أتينا على هذا المعنى بشواهده هناك وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل الأمر بالعكس وأنه اسمه في التوراة أحمد.

وأما أحمد: فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول؟ فقالت طائفة: هو بمعنى الفاعل أي حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه ورجحوا هذا القول بأن قياس أفعل التفضيل أن يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول. . والمقصود أن تقدير أحمد على قول الأولين: أحمد الناس لربه، وعلى قول هؤلاء: أحق الناس وأولاهم بأن يحمد فيكون كمحمد في المعنى إلا أن الفرق بينهما أن محمداً هو كثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر فالاسمان واقعان على المفعول وهذا أبلغ في مدحه وأكمل معنى ولو أريد معنى الفاعل لسمي الحماد أي كثير الحمد فإنه ﷺ كان أكثر الخلق حمداً لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الأولى به الحماد كما سميت بذلك أمته.

وأيضًا فإن هذين الاسمين إنما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التي لأجلها استحق أن يسمى محمدًا ﷺ وأحمد وهو الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض وأهل الدنيا وأهل الآخرة لكثرة خصاله المحمودة التي تفوق عد العادين وإحصاء المحصين وقد أشبعنا هذا المعنى في كتاب الصلاة والسلام عليه ﷺ وإنما ذكرنا ها هنا كلمات يسيرة اقتضتها حال المسافر وتشتت قلبه وتفرق همته وبالله المستعان وعليه التكلان.

وأما اسمه المتوكل: ففي (صحيح البخاري) عن عبد الله بن عمرو قال: قرأت في التوراة صفة النبي ﷺ محمد رسول الله عبدي ورسولي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو ويصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله. وهو ﷺ أحق الناس بهذا الاسم لأنه توكل على الله في إقامة الدين توكلا لم يشركه فيه غيره

وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب: فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم فالماحي: هو الذي محا الله به الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي ﷺ فإنه بعث وأهل الأرض كلهم كفار إلا بقايا من أهل الكتاب وهم ما بين عباد أوثان ويهود مغضوب عليهم ونصارى ضالين وصابئة دهرية - لا يعرفون ربًا ولا معادًا - وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة - لا يعرفون شرائع الأنبياء ولا يقرون بها - فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهردين الله على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الأقطار.

وأما الحاشر: فالحشر هو الضم والجمع فهوالذي يحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشرالناس.

والعاقب: الذي جاء عقب الأنبياء فليس بعده نبي فإن العاقب هو الآخر فهو بمنزلةالخاتم ولهذا سمي العاقب على الإطلاق أي عقب الأنبياء جاء بعقبهم.

وأما المقفي: فكذلك وهو الذي قفى على آثار من تقدمه فقفى الله به على آثار من سبقه من الرسل وهذه اللفظة مشتقة من القفو يقال قفاه يقفوه إذا تأخر عنه ومنه قافية الرأس وقافية البيت فالمقفي الذي قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم.

وأما نبي التوبة فهو الذي فتح الله به باب التوبة على أهل الأرض فتاب الله عليهم توبة لم يحصل مثلها لأهل الأرض قبله وكان ﷺ أكثر الناس استغفاراً وتوبة حتى كانوا يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**».

وكان يقول: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله ربكم فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**». وكذلك توبة أمته أكمل من توبة سائر الأمم وأسرع قبولا وأسهل تناولا وكانت توبة من قبلهم - بسبب ظلمهم - من أصعب الأشياء حتى كان من توبة بني إسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم وأما هذه الأمة فمن رحمة الله بها أن جعل توبتها الندم والإقلاع.

وأما نبي الملحمة: فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله ﷺ وأمته والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فإن أمته يجاهدون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم.

وأما نبي الرحمة: فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الأرض كلهم مؤمنهم وكافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الأوفر من الرحمة وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده وأما من قتله منهم هو وأمته فإنهم عجلوا به إلى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها إلا شدة العذاب في الآخرة.

وأما الفاتح: فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجًا وفتح به الأعين العمي والآذان الصم والقلوب الغلف وفتح الله به أمصار الكفار وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار.

وأما الأمين: فهوأحق العالمين بهذا الاسم فهوأمين الله على وحيه ودينه وهوأمين من في السماء وأمين من في الأرض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة: الأمين.

وأما الضحوك القتال: فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فإنه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ، قتال لأعداء الله لا تأخذه فيهم لومة لائم.

وأما البشير: فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩] وقوله تبارك: ﴿الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان:١] وقوله ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم ١٠] وقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة : ٢٣] وثبت عنه في الصحيح أنه قال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر» وسماه الله سراجًا منيرًا وسمى الشمس سراجًا وهاجًا، والمنير: هو الذي ينير من غير إحراق بخلاف الوهاج فإن فيه نوع إحراق وتوهج.

التعريف بالنبي ﷺ

نسبه: هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن كعب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم ﷺ.

نشأته: ولد ﷺ بمكة المكرمة بدار أبي يوسف، ولدته آمنة بنت وهب بن زهرة ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب. ولدته صبيحة يوم الاثنين التاسع من ربيع الأول

عام الفيل، الموافق لأغسطس عام (٥٧٠) ميلادية، ومات والده عبد الله وهو حَمْل في بطن أمه، وكفله جده عبد المطلب، وماتت والدته آمنة وهو ابن ست سنين، وحضنته أم أيمن جاريه أبيه، ومات جده فكفله عمه أبي طالب.

زواجه وأولاده

ولما بلغ الخامسة والعشرين من عمره ﷺ تزوج بخديجة بنت خويلد إحدى شريفات قريش، فأنجب منها ولدين هما القاسم وعبد الله، ماتا صغيرين، وأربع بنات: وهن فاطمة الزهراء وزينب ورقية وأم كلثوم رضي الله عنهن، ولم يزاول من الأعمال ﷺ في هذه الفترة من عمره سوى رعي الغنم، إذ قال ﷺ: **«ما بعث الله نبيًا إلا ورعي الغنم»**، فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: **«نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»**. وكذلك التجارة حيث خرج مع عمه إلى الشام مرة واحدة وخرج بعد ذلك في تجارة لخديجة فربح لها ربحًا عظيمًا.

وكان ﷺ في هذه المدة من حياته يتمتع بأفضل الأخلاق، وأطيب الشمائل، فلم يؤثر عليه ما يخل بمكارم الأخلاق قط فلم يأت ولو مرة ما كان يأتيه بنو قومه أبدًا فلم يسجد لصنم، ولم يشرب خمرًا، ولم يلعب قمارًا ولا ميسرًا، ولم يستقسم بزلم، ولم يظلم أحدًا في عرض ولا مال ولا دم، لقد كان بشهادة أعدائه وخصومته مثاليًا في أخلاقه، وناهيك بإجماع قريش على إضفاء لقب الأمين عليه، هذا اللقب الذي لم يظفر به أحد في ديارها أبدًا، لقد كان ﷺ أمينًا في سره وفي علنه، أمينًا في قوله وفي عمله، أمينًا في غيبه ومشهده، أمينًا في كل شيء وعلى كل شيء.

وإذا كانت قريش قد اضطرت إلى منحه ذلك اللقب السامي، الرفيع والكريم - لقب الأمين- فإن الله تعالى قد أقسم له في مطلع نبوته على أنه على خلق عظيم،

وهي شهادة - والله - لا تعادلها شهادة أبداً، إذ قال تعالى: ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ١-٤].

عناية الله به

لم يكن الكمال الذي عاش عليه محمد رسول الله ﷺ وعرف به قبل نبوته، لم يكن نتيجة أم أو أب، أو أثر تعليم أستاذ أو مرب قط، وإنما كان أثر عناية الله تعالى به ، فالله الذي خلقه لأن يكون واسطة بينه وبين عباده، ليبلغهم شرعه ودينه - هو الذي حماه من كل ما يلوث نفسه، أو يعكر صفاء روحه، إعداداً له لحمل رسالته إلى خلقه، وحملُ مثل تلك الرسالة يتطلب كمالاً نفسيًا يكون صاحبه فيه مثلاً أعلى لغيره من سائر الناس، وكذلك كان رسول الله ﷺ ، ولنستشهد على عناية الله للرسول ﷺ ، وحمايته تعالى له منذ ولادته بشاهدين اثنين وهما:

١- ما روى البيهقي عن محمد بن إسحق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يهمون به إلا ليلتين، كلتاهما عصمني الله عز وجل فيهما، قلت ليلة لبعض فتيان مكة ونحن في رعاء غنم أهلها، فقلت لصاحبي: أبصر لي غنمي حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان. فقال: بلى قال: فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، فسمعت عزفًا بالغرابيل والمزامير فقلت: ما هذا ؟ قالوا: تزوج فلان فلانة فجلست أنظر، وضرب الله على أذني، فوالله ما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ماذا فعلت ؟ فقلت: ما فعلت شيئًا، ثم أخبرته بالذي رأيت (وذكر أنه حصل له مرة أخرى فتم له مثل الذي حصل في الأولى) ثم قال: فوالله ما هممت ولا عدت بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمني الله عز وجل بنبوته».

٢- ما روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة (لما أرادوا تجديد بنائها) وعليه إزاره، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي لو حللت إزارك فجعلته على منكبيك دون الحجارة، قال: فحله فجعله على منكبيه، فسقط مغشياً عليه، فما رؤي بعد ذلك عرياناً ﷺ.

نبوته وبعثته

وعلى رأس الأربعين كما هي سنة الله في الأنبياء نبئ محمد ﷺ إذ جاءه الحق وهو بغار حراء، بعد أن كان قد حبب إليه الخلاء فيه مدة شهر رمضان، فجاءه جبريل وهو به فضمه إلى صدره وأرسله ثلاثاً وقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ وفي الرابعة قال: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ** ﴾ [العلق: ١-٣].

فذهب بها ﷺ إلى خديجة زوجه الكريمة ترجف بوادره، وهو خائف على نفسه، وهي تقول له: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وانطلقت به رضي الله عنها إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عمها، وكان امرأً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، ياليتني فيها جذعاً، ياليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال النبي ﷺ: «أو مخرجي هم؟» قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم ينشب

ورقة أن توفي وفتر الوحي).

وبعد فترة فتر فيها الوحي تبدى له جبريل في صورته الملائكية وقد سد الأفق وله ستمائة جناح، ثم أخذ يدنو منه ويتدلى حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه ما أوحى، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ١-٥] فأرسل بها ﷺ.

بدء الدعوة

وبدأ ﷺ دعوته إلى الإيمان بالله ورسوله، وكتابه ولقائه، وتوحيده تعالى في عبادته، بدأها فردية، وتلقى هو ومن آمن به صنوفًا من الأذى، وأنواعًا من الاضطهاد، مما اضطر بعض أصحابه إلى الهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة النبوية، كما حوصر هو وأسرته الشريفة والمؤمنون من بني هاشم، حوصروا في شعب أبي طالب ثلاث سنوات، جاعوا فيها جوعًا أكلوا معه ورق الشجر.

وفي هذه الأثناء توفيت أم المؤمنين خديجة زوجه المفضلة رضي الله عنها، كما توفي عمه أبو طالب الذي لم يأل جهدًا يدفع عن رسول الله ﷺ ويحميه من كيد أعدائه له، فكان ذلك العام يدعى (عام الحزن) كما قيل.

وفي نهاية السنة العاشرة من بعثته ﷺ ومطلع الحادية عشرة عرج به ﷺ إلى الملكوت الأعلى حتى بلغ سدرة المنتهى عند جنة المأوى، وتجاوزها إلى مقام أسمى سمع عنده صريف الأقلام، وناجاه ربه، وناداه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، وفي هذه الأثناء عقد ﷺ اتفاقية مع بعض رجالات الأوس والخزرج تنص على: أن يحمي أولئك الرجال من يهاجر إليهم من المؤمنين مما يحمون به أنفسهم وأموالهم، وأن لهم عند الله تعالى الجنة، وسميت هذه الاتفاقية ببيعة العقبة

الأولى، وتمت عندها أخرى مثلها فسميت بيعة العقبة الثانية ، وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة بعد أن كثر بها الإسلام والمسلمون، وكانت قبل ذلك تسمى (يثرب) فصارت بحلول النبي ﷺ فيها تسمى (المدينة النبوية) والعامة تسميها (المدينة المنورة)، وفيها شرعت كل الأحكام الجنائية والمدنية، وبها تكونت الدولة الإسلامية الأولى في تاريخ الإسلام. ومن المدينة انطلق المسلمون ينشرون راية العدل والحق في ربوع الأرض، ويخرجون الناس من ظلمات الكفر إلى أنوار الإيمان، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور السلطان إلى عدل الإسلام كما قال ربعي بن حراش لكسرى ملك الفرس، ولم يقبض رسول الله ﷺ حتى انتظم الإسلام كامل شبه جزيرة العرب، وحتى تم التشريع الإسلامي أوفر وأقوى ما يكون، ونزل في ذلك قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا**﴾[المائدة: ٣].

وقبض رسول الله ﷺ يوم الاثنين من شهر ربيع الأول بعد ما مضى عشر سنوات وشهران و بعض الليالي على هجرته إلى المدينة، والتي كانت مبدأ التاريخ الإسلامي، ولم يلتحق ﷺ بالرفيق الأعلى حتى لم يترك خيراً قط إلا دل أمة الإسلام عليه، ولا شراً إلا حذرها منه، فصلوات الله عليه إلى يوم أن نسعد برؤيته وشفاعته.

هذه نظرة سريعة ألقيناها متبركين بها على تاريخ محمد رسول الله ﷺ بمناسبة الحديث عن نبوته، فكانت مثل ترجمة قصيرة نقدمها بين يدي بحث دلائل نبوته، وعموم رسالته، وتقرير أن سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة رهن ذلك ومتوقفة عليه.

مؤهلاته للنبوة

لقد سبق أن ذكرنا أن مؤهلاته للنبوة العامل الزمني، والمثالية، وشرف النسب، فلننظر الآن فيما إذا كانت هذه العوامل الثلاثة متوفرة للنبي العربي ﷺ أم لا، ولنبدأ بالعامل الزمني فنقول: لقد أجمع من أرخوا للدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية قبل البعثة المحمدية، أجمعوا على أن فساداً عامًا قد عم تينك الدولتين العظيمتين فساداً في الدين، وفساداً في الأخلاق، وفساداً في الحكم فسرى ضعف هائل في كل أجهزة تينك الدولتين، وخلايا تينك الأمتين الكبيرتين. هذا في دولة الفرس والروم الحضاريتين أما في غيرهما فإن الأحوال أسوأ، والأمر أردأ، والظلام في كل جوانب الحياة أحلك، ففي شبه جزيرة العرب أصنام تعبد وخمور تشرب، وبنات توأد، وكهانات حلت محل النبوات، وأعراف قبلية سائدة سيادة الشرائع الإلهية، من له يعطي ويزاد، ومن ليس له يؤخذ منه، وليس حال غيرهم خيراً من حالهم، فالعالم يومئذٍ كله يعيش في ظلام دامس من الظلم والشر والفساد، وهي حال تدعو بل تصرخ بذي نبوة إلهية، ورسالة ربانية، يصلح الله به وعلى يديه فساد البلاد والعباد. وحقًا فقد تطلع الناس إلى صاحب هذه النبوة، وحامل تلك الرسالة، ففي الجزيرة العربية إرهاصات كثيرة، وبين أهل الكتاب تنبؤات أكثر، همسات خفية في كل واد، ومنية بقرب نبوة سماوية. كل الدلائل تشير إلى أن هذه النبوة ستكون هذه المرة في الأمة العربية، قد يلوح سناها بين جبال فاران (مكة)، وتطلع شمس ضحاها في يثرب ذات النخيل والظل الظليل، إنها مهاجر النبي ﷺ الذي قد أظل زمانه.

وسابق بعض أهل الكتاب الأحداث، فهاجروا إلى الحجاز، ونزلوا يثرب

نفسها، وتأكدت التنبؤات عند بعضهم، حتى استفتحوا على العرب جيرانهم بأن النبي المنتظر سيبعث فينا، ونقاتلكم معه.

وبالجملة فإن تلك الفترة - وهي السبعون سنة بعد الأربعمائة من ولادة السيد المسيح عليه السلام - كانت فترة إرهاصات كثيرة وتطلعات كبيرة وتنبؤات لا حد لها، وفي أنحاء شتى من العالم إلى نبوة يتغير بها مجرى التاريخ الإنساني ويوقف بها تيار الفساد العام بين البلاد والعباد، ومن ياترى يكون المؤهل لهذه النبوة.

إنه كان محمد بن عبد الله، دعوة إبراهيم القائل: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٩]

وبشارة عيسى القائل: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [الصف: ٦].

إنه كان محمداً النبي الأمي الذي نادى قائلاً: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. فمرحبًا بوفادته على الدنيا، ومرحبًا بقيادته للإنسانية، ومرحبًا به و هو الرحمة الإلهية، ومن العامل الزمني إلى المثالية.

فلنلق نظرة سريعة على المثالية المحمدية التي أهلته بإذن الله لقيادة البشرية، وهيأته لتلقي الوحي من السماء، ليكون رسول الله إلى الناس كافة، فلتنظر إليها في الجانب الخلقي الذاتي، ثم في الجانب الخلقي النفساني، وإن أصحاب السير وجميع من كتب في السيرة المحمدية مجمعون على أن محمد بن عبد الله النبي الأمي كان أكمل الناس ذاتًا، وأجلهم وجهًا، وأحسنهم قداً واعتدالاً، ولنترك الرواة الصادقين يصفون لنا الذات المحمدية كما رأوها وعرفوها.

الأحاديث في صفة النبي ﷺ (*)

عن أنس بن مالك أنه سمعه يقول: «كان رسولُ الله ﷺ ليس بالطويل البائن[1]، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمْهَق، ولا بالآدم[2]، ولا بالجَعْد القَطِط ولا بالسَّبِط[3]، بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين[4]، وبالمدينة عشر سنين، وتوفاه الله على رأس ستين سنة[5] وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء»[6].

وعنه ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ رَبْعة[7]، ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الجسم، وكان شعرُه ليس بجعد ولا سبط، أسمر اللون، إذا مشى يتكفأ[8]»[9].

عن البراء بن عازب يقول: «كان رسول الله ﷺ رجلاً مربوعًا، بعيدَ ما بين

(*) انتقينا أحاديث الباب من كتاب (الشمائل المحمدية للترمذي) والذي اختصره الألباني رحمه الله.

(١) البائن: الظاهر.

(٢) الأمهق: الشديد البياض، و(الآدم): الأسمر.

(٣) الجعد: بفتح وسكون على الأشهر. و(القطط) بفتحتين: الشعر الذي فيه التواء وانقباض. و(السبط) بفتح فكسر: الشعر المسترسل.

(٤) وفي رواية: أقام بها ثلاث عشرة، فتحمل رواية العشر على أن الراوي حذف الكسر الزائد على العشرة.

(٥) وفي رواية: وهو ابن ثلاث وستين، وهي أشهر وأصح، وتحمل رواية الستين على أن الراوي حذف الزائد على العشرة أيضًا.

(٦) أخرجه البخاري في صفة النبي وفي اللباس ومسلم في الفضائل.

(٧) بفتح الراء وسكون الباء، أي كان متوسطًا بين الطول والقصر.

(٨) قلت: أي يتمايل إلى قدام كالسفينة في جريها، زاد في حديث علي الآتي: «كأنما ينحط من صبب».

(٩) أخرجه البخاري في صفة النبي وفي اللباس ومسلم في الفضائل.

المنكبين، عظيم الجُمَّة [١] إلى شحمة أذنيه، عليه حُلة حمراء [٢] ما رأيت شيئًا قط أحسن منه» [٣].

وعن علي بن أبي طالب قال: «لم يكن النبي ﷺ بالطويل ولا بالقصير، شَثْنُ [٤] الكفين والقدمين، ضخمُ الرأس، ضخمُ الكراديس [٥]، طويل المسربة [٦] إذا مشى تكفأ تكفؤًا كأنما ينحط من صبب [٧]، لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ» [٨].

وعن جابر بن سمُرة قال:

«كان رسولُ الله ﷺ ضليع الفم، أشكل العين، منهوس العقب». قال شعبة: قلت لسماك: ما «ضليع الفم»؟ قال: عظيم الفم. قلت: ما «أشكل العين»؟ قال: طويل شق العين. قلت: ما «منهوس العقب»؟ قال: قليل لحم العقب» [٩].

وعنه قال: «رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان [١٠] وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسنُ من القمر» [١١].

---

(١) (رجلا): بكسر الجيم وهو وصف للشعر. (بُعيد): بضم الباء. و(الجمة): بضم الجيم وتشديد الميم، وهي ما سقط من شعر الرأس ووصل إلى المنكبين. و(اللمة): ما جاوز شحمة الأذن، وهي (الوفرة).

(٢) الحلة: ثوبان: إزار ورداء.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم في الفضائل.

(٤) بفتح الشين وسكون الثاء أي غليظ الأصابع والراحة.

(٥) وهي رؤوس العظام.

(٦) المسربة: بفتح الميم وسكون السين: الشعر الدقيق الذي يبدأ من الصدر وينتهي بالسرة.

(٧) الصبب: ما انحط من الأرض.

(٨) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح٤).

(٩) أخرجه مسلم في الفضائل.

(١٠) أي مضيئة مقمرة.

(١١) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح٨).

عن أبي إسحاق قال: سأل رجل البراء بن عازب: أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: «لا، بل مثل القمر»(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أبيض، كأنما صيغ من فضة، رَجِلَ الشعر»(٢).

عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «عُرِضَ عليَّ الأنبياءُ، فإذا موسى عليه السلام ضَرْبٌ من الرجال، كأنه من رجال شَنُوءة(٣)، ورأيت عيسى ابن مريم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً عروة بن مسعود(٤)، ورأيت إبراهيم عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شَبَهًا صاحبكم، (يعني نفسه)، ورأيت جبريل عليه السلام فإذا أقرب من رأيت به شبهاً دِحْيَة(٥)»(٦).

وعن أبي الطفيل قال: «رأيت النبي ﷺ وما بقي على وجه الأرض أحد رآه غيري(٧)»(٨).

---

(١) أخرجه البخاري في صفة النبي ﷺ.

(٢) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل (ح ١٠).

(٣) بفتح الشين قبيلة من اليمن، ورجال هذه القبيلة متوسطون بين الخفة والسمن، و(الشنوءة) في الأصل التباعد.

(٤) عروة بن مسعود الثقفي، وهو الذي أرسلته قريش للنبي ﷺ يوم الحديبية، وقد أسلم سنة تسع من الهجرة، وهو أحد الرجلين اللذين قالت قريش فيهما: ﴿لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ ٣١ الزخرف.

(٥) دحية الكلبي الصحابي شهد مع رسول الله ﷺ المشاهد بعد بدر وبايع تحت الشجرة، وكان جبريل يأتي للنبي ﷺ غالبًا في صورته. نزل الشام وبقي فيها واستوطن المِزَّة بجانبها حتى مات بزمن معاوية، وكان رسولَ النبي ﷺ إلى هرقل فلقيه بحمص.

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان.

(٧) يشير إلى أنه آخر الصحابة موتًا، مات سنة ١١٠هـ، وهو عامر بن واثلة.

(٨) أخرجه مسلم في الفضائل.

خاتم النبوة

عن السائب بن يزيد قال : «ذَهَبت بي خالتي إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله! إنّ ابن أختي وَجِع[١]، فمسح ﷺ رأسي، ودعا لي بالبركة، وتوضأ، فشربت من وَضوئه، وقمت خلف ظهره، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه، فإذا هو مثل زرّ (الحجلة)[٢]»[٣].

وعن جابر بن سمرة قال : «رأيت الخاتم بين كتفي رسول الله ﷺ غُدّة[٤] حمراء مثل بيضة الحمامة»[٥].

وعن عاصم بن عمر بن قتادة عن جدته رُمَيثة قالت : سمعت رسول الله ﷺ - ولو أشاء أن أُقبّلَ الخاتم الذي بين كتفيه من قربه لفعلت - يقول لسعد ابن معاذ يوم مات: «اهتزّ له عرش الرحمن»[٦].

وعن أبي زيد عمرو بن أخطب الأنصاري قال : قال لي رسول الله ﷺ : «يا أبا زيد : ادنُ مني فامسح ظهري».

فمسحت ظهره، فوقعت أصابعي على الخاتم. قلت: وما الخاتم. قال: شعرات مجتمعات[٧].

---

(١) أي مريض.

(٢) الحجلة: طائر معروف، و(زرها) : بيضها.

(٣) أخرجه البخاري في «الطهارة، وصفة النبي، والمرضى، والدعوات» ، ومسلم.

(٤) الغدة : قطعة اللحمة. وهذا لا ينافي ما جاء في رواية مسلم أنه كان على لون جسده. والتشبيه ببيضة الحمامة في المقدار، وقيل في الصورة واللون.

(٥) أخرجه مسلم في الفضائل.

(٦) أخرجه الترمذي في «المناقب» وقال حسن صحيح. والشيخان وابن ماجه.

(٧) صححه العلامة الألباني في مختصر الشمائل(ح١٧).

وعن بريدة قال : جاء سلمان الفارسي [١] إلى رسول الله ﷺ حين قدمَ المدينة بمائدة عليها رُطَبٌ، فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ فقال : «يا سلمان: ما هذا؟» فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: «ارفعها فإنا لا نأكل الصدقة».

قال : فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟»، فقال: هدية لك.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «ابسُطوا» [٢] ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله ﷺ فآمن به، وكان لليهود، فاشتراه رسول الله ﷺ بكذا وكذا درهمًا على أن يغرس نخلاً فيعمل سلمان فيه حتى تُطعِم، فغرس رسولُ الله ﷺ النخيل إلا نخلة واحدة غرسها عمر، فحملت النخل من عامها، ولم تحمل النخلة فقال رسولُ الله ﷺ : «ما شأن هذه النخلة؟».

فقال عمر: يا رسول الله أنا غرستها. فنزعها رسول الله ﷺ فغرسها، فحملت من عامها» [٣].

وعن أبي نضر العَوَقي [٤] قالت: سألت أبا سعيد الخُدري عن خاتم رسول الله ﷺ؟ يعني خاتم النبوة، فقال: «كان في ظهره بَضعةٌ ناشزة [٥]» [٦].

---

(١) نسبة لفارس، وهو صحابي جليل، وكان أخبره بعض الرهبان بظهور النبي ﷺ في الحجاز، ووصف له فيه علامات وهي قبوله الهدية وعدم قبول الصدقة، وخاتمُ النبوة فأحب الفحص عنها ففعل ثم أسلم.

(٢) يعني : أيديكم وكلوا.

(٣) حسنه العلامة الألباني في مختصر الشمائل(ح١٨).

(٤) بفتح المهملة والواو ثم قاف، موضع بالبصرة كما في «الأنساب» وغيره، ووقع في الأصل وغيره (العوفي) بالفاء وهو تصحيف. واسمه المنذر بن مالك.

(٥) أي كان الخاتم في ظهره الشريف قطعة لحم ظاهرة، و(الناشزة) أي المرتفعة.

(٦) أخرجه الترمذي، وقال الألباني رحمه الله: سنده جيد، وله في المسند (٣/ ٦٩) طريق أخرى.

وعن عبد الله بن سَرجِس قال: «أتيتُ رسول الله ﷺ وهو في ناسٍ من أصحابه، فَدُرتُ هكذا من خلفه، فَعَرَفَ الذي أريد، فألقى الرداء عن ظهره، فرأيتُ موضعَ الخاتم على كتفيه مثل الجُمْعِ[١] حولها خِيلان[٢] كأنها ثآليل[٣] فرجعت حتى استقبلتُه، فقلت: غفر الله لك يا رسول الله. فقال: «ولك».

فقال القوم: استغفر لك رسول الله ﷺ. فقال: نعم، ولكم ثم تلا هذه الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩] »[٤].

شعر رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «كان شعرُ رسول الله ﷺ إلى نصف أذنيه»[٥].

وعن عائشة قالت: «كنتُ أغتسل أنا رسول الله ﷺ من إناء واحد، وكان له شعر فوق الجُمَّة[٦]، ودون الوَفرة[٧]»[٨].

وعن أم هانئ بنت أبي طالب قالت:

---

(١) الجمع: بضم الجيم أي مثل الكف وهو هيأته بعد جمع الأصابع.

(٢) جمع (خال) وهو نقطة تضرب إلى السواد تسمى شامة.

(٣) ثآليل كمصابيح، جمع (ثؤلول) كعصفور، وهو خراج صغير كالحمصة يظهر على الجسد له نتوء واستدارة.

(٤) أخرجه مسلم في «كتاب الفضائل» (ح٢٣٤٦).

(٥) أخرجه أبو داود (ح ٤١٨٦)، والنسائي، ومسلم (ح٢٣٣٨) بلفظ: «كان شعر رسول الله ﷺ بين أذنيه وعاتقه». وعند ابن ماجه (ح٣٦٣٤): «كان شعر رسول الله ﷺ بين أذنيه ومنكبيه».

(٦) الجُمَّة: الشعر النازل إلى المنكبين.

(٧) الوَفرة: ما بلغ شحمة الأذن.

(٨) قال الألباني رحمه الله: أخرجه الترمذي في السنن بتمامه (ح ١٧٥٥) وصححه، وأبو داود (٧٧ و٤١٨٧) مفرقًا كابن ماجه، وكذا ابن سعد (١/ ٤٢٤) وأحمد (٦/ ١٠٨و١١٨). وأما جملة الغسل فهي عند الشيخين وغيرهما من طرق عنها ﵁، وبعضها مخرج في «صحيح أبي داود» برقم (٧٠).

«قدم رسولُ الله ﷺ مكة قَدمةً وله أربعُ غدائر[(١)]، وفي رواية: ضفائر[(٢)]»[(٣)].

وعن ابن عباس: «أن رسول الله ﷺ كان يَسْدُلُ شعره[(٤)]، وكان المشركون يَفْرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يَسْدُلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فَرَقَ رسولُ الله ﷺ رأسَه[(٥)]»[(٦)].

ترجل رسول الله ﷺ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنت أُرَجِّل رأسَ[(٧)] رسولِ الله ﷺ وأنا حائض»[(٨)].

وعنها رضي الله عنها قالت: «إنْ كانَ رسولُ الله ﷺ ليُحبُّ التيَمُّنَ في طُهوره[(٩)] إذا تَطهر، وفي ترجله[(١٠)] إذا تَرَجَّلَ، وفي انْتِعالِه[(١١)] إذا انْتَعَلَ»[(١٢)].

---

(١) الغدائر: جمع غديرة.

(٢) الضفائر: جمع ضفيرة، وكل من الضفيرة والغديرة بمعنى الذؤابة، وهي الخصلة من الشعر إذا كانت مرسلة، فإن كانت ملوية فعقيصة.

(٣) أخرجه أبو داود (ح ٤١٩١). وابن ماجه (ح٣٦٣١). وقال الألباني رحمه الله: أخرجه الترمذي في السنن (ح ١٧٨٢) وقال: «حسن غريب» وأحمد (٦/ ٣٤١ و ٤٢٥) وابن سعد (١/ ٤٢٩)، وإسناده صحيح.

(٤) سدل الشعر: إرساله.

(٥) فرق رأسه: أي ألقى الشعر إلى جانبي رأسه.

(٦) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٣٣٦).

(٧) ترجيل الشعر: أي تسريحه.

(٨) أخرجه البخاري، وأخرجه مسلم (ح٢٩٧).

(٩) طهوره: بضم الطاء، وفتحها روايتان مسموعتان؛ وبضم الطاء هو الفعل، وبفتحها: ما يتطهر به.

(١٠) الترجل: أي يحب في تمشطه أن يبدأ بالجهة اليمنى من رأسه.

(١١) وفي انتعاله: أي ويحب التيمن بالانتعال.

(١٢) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٥٨).

وعن عبد الله بن مُغَفَّل قال: «نهى رسول الله ﷺ عن التَّرجل إلا غِبًّا»[١].

شيب رسول الله ﷺ

عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: «هل خَضَبَ[٢] رسولُ الله ﷺ؟ قال: لم يبلغ ذلك، إنما كان شيبًا في صِدغَيْه[٣]، ولكن أبو بكر رضي الله تعالى عنه خضب بالحنّاء والكَتَم[٤]» [٥].

وعن أنس بن مالك قال: «ما عَدَدْتُ في رأس رسولِ الله ﷺ ولحيته إلا أربع عشرة شعرةً بيضاء»[٦].

وعن سِماك بن حَرب قال: سمعت جابر بن سمرة، وقد سُئل عن شيب رسول الله ﷺ؟ فقال: «كان إذا دَهَنَ رأسه لم يُرَ منه شيب، وإذا لم يَدهن رُؤي منه شيء».

وفي رواية: «لم يكن في رأسِ رسول الله ﷺ شيبٌ إلا شَعرات في مَفرَق رأسه، إذا ادّهن واراهُنَّ الدّهن»[٧].

---

(١) أخرجه أبو داود (ح ٤١٥٩) والنسائي، والترمذي (ح١٧٥٦) وابن حبان، والسلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (ح ٥٠١).

(٢) الخضب: تلوين الشيب بالحمرة.

(٣) الصدغ: هو ما بين العين والأذن. ويسمى الشعر النابت على الصدغ صدغًا، وهو المراد هنا.

(٤) الحناء والكتم: ورق يصبغ به، والحناء: تجعل الشعر أحمر، والكتم: يجعل الشعر أسود مائلاً إلى الحمرة.

(٥) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٦) أخرجه ابن ماجه (ح٣٦٢٩)، وعند البخاري في «الفضائل» عن أنس «ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء». وقال الألباني رحمه الله: أخرجه أحمد (٣/ ١٦٥) بلفظ الترمذي، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٧) أخرجه مسلم(ح ٢٣٤٤). والنسائي، والسلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله (ح ٣٠٠٤).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: «إنما كان شيبُ رسول الله ﷺ نحواً من عشرين شعرة بيضاء»[١].

وعن أبي رِمثةَ التيمي تيم الرباب قال:

أتيتُ النبيَّ ﷺ ومعي ابن لي، قال: فَأُرِيتُه، فقلت لما رأيته:

«هذا نبي الله ﷺ، وعليه ثوبان (وفي رواية: بُردان[٢]) أخضران، وله شَعر قد علاه الشيب، وشيبه أحمر»[٣].

خضاب رسول الله ﷺ

وعنه قال: «أتيتُ النبي ﷺ مع ابن لي، فقال: «ابنُك هذا؟» فقلت: نعم، أشهد به، قال: «لا يجني عليك، ولا تَجني عليه». قال: ورأيت الشيب أحمر».

قال أبو عيسى: هذا أحسن شيء رُوِي في هذا الباب وأفسَر؛ لأن الروايات الصحيحة أنه ﷺ لم يبلغ الشيب..»[٤].

وعن عثمان بن موهب قال:

«سُئِلَ أبو هريرة: هل خضب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم»[٥].

وعن أنس قال: «رأيت شعر رسول الله ﷺ مخضوباً»[٦].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٦٣٠).

(٢) بردان: تثنية (برد): ثوب مخطط.

(٣) قال الألباني رحمه الله: حسنه الترمذي - في الشمائل- (ح٢٨١٣)، وأخرجه أحمد (٢/٢٢٦-٢٢٧- ٤/١٦٣) بألفاظ منها لفظ الترمذي، وقد أعاده في موضع آخر مختصراً، بالرواية الأخرى (٦٣)، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (٢/١٠٧) والذهبي).

(٤) أخرجه أبو داود (ح ٤٢٠٨)، والترمذي، والنسائي.

(٥) قال الألباني رحمه الله: حديث صحيح، وفي إسناده شريك وهو ابن عبد الله القاضي، وهو سيء الحفظ، وقد خالفه الثقات فجعلوه من مسند أم سلمة، وهو الصواب.

(٦) قال الألباني رحمه الله: إسناده صحيح على شرط مسلم، وتفرد به الترمذي دون الستة.

وعن عبد الله بن محمد بن عقيل، قال: «رأيت شعر رسول الله ﷺ عند أنس بن مالك مخضوبًا»[(١)] [(٢)].

كحل رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**اكتحلوا[(٣)] بالإثمد[(٤)]، فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر**»[(٥)].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالإثمد عند النوم فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر**»[(٦)].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن خير أكحالكم الإثْمِدُ، يجلُو البصر، ويُنبتُ الشعر**»[(٧)].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**عليكم بالإثمد، فإنه يَجْلُو البصر، ويُنبِتُ الشَّعْرَ**»[(٨)].

---

(١) قال النووي رحمه الله: «والمختار أنه ﷺ خضب في وقت، دل عليه حديث ابن عمر في الصحيحين وتركه في معظم الأوقات، فأخبر كل بما رأى، وهو صادق، والله أعلم».

(٢) قال الألباني رحمه الله: إسناده صحيح أيضاً إلى ابن عقيل، وهو حسن الحديث.

(٣) الكحل: بضم الكاف: اسم الذي يكتحل به، وبالفتح: مصدر بمعنى استعمال الكحل في العين.

(٤) الإثمد: بكسر الهمزة والميم بينهما ثاء ساكنة، حجر الكحل المعروف.

(٥) السلسلة الصحيحة للألباني (ح٦٦٥، ٧٢٤).

(٦) أخرجه أبو داود (ح ٣٨٧٨)، وأخرجه ابن ماجه في «الطب» (ح٣٤٩٧) (ح٣٨٧٨)، والترمذي في «اللباس» (ح١٧٥٧).

(٧) قال الألباني رحمه الله: إسناده صحيح على شرط مسلم وقد أخرجه النسائي في «الزينة» وابن ماجه في «الطب» (٣٤٩٧).

(٨) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٤٩٥). وقال الألباني رحمه الله: صححه الحاكم والذهبي، وفي سنده ضعف، لكنه يتقوى بما قبله كما بينته في «الصحيحة ٧٢٤».

لباس رسول الله ﷺ

عن أم سلمة قالت: «كان أحبُّ الثياب إلى رسول الله ﷺ يَلْبَسُه القميصُ»(١).

وعن معاوية بن قرة عن أبيه قال: «أتيتُ رسول الله ﷺ في رَهْط من مزينة لنُبايعه، وإنّ قميصَهُ لَمُطْلَقٌ، أو قال: زِرُّ قميصِه مُطْلَقٌ. قال: فأدخلتُ يَدِي في جَيْبِ قميصه فَمَسَسْتُ الخاتِمَ»(٢).

عن أنس بن مالك: «أن النبي ﷺ كان شاكِيًا فَخَرَجَ وهو يتَّكِيءُ على أسامة ابنِ زيد، عليه ثوب قِطْري(٣) قد تَوَشَّح به(٤)، فصلى بهم»(٥).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان أحبُّ الثياب إلى رسولِ الله ﷺ يَلْبَسُهُ الحِبَرَةُ(٦)»(٧).

وعن أبي جحيفة قال: «رأيت النبي ﷺ وعليه حُلَّةٌ حمراء، كأني أنظر إلى بريق ساقية»(٨).

---

(١) أخرجه أبو داود (ح ٤٠٢٥) والترمذي (ح ١٧٦٢) والنسائي. وقال الألباني رحمه الله: قال الترمذي: «حديث حسن غريب».

(٢) أخرجه أبو داود (ح ٤٠٨٢)، وابن ماجة (ح٣٥٧٨). قال الألباني رحمه الله: وصححه ابن حبان، ورواه الطيالسي (١٧٩٩) وأحمد (٤/ ٦٩ و ٥ / ٣٥) وابن سعد (١ / ٤٦٠) وأبو الشيخ (١٠٣). وسندهم صحيح.

(٣) القطري: بكسر القاف وسكون الطاء، نسبة إلى القطر، وهو نوع من البرود اليمنية يتخذ من قطن، وفيه حمرة وأعلام مع خطوط، أو نوع من حُلل جياد تحمل من بلد بالبحرين اسمها (قَطَر) بفتحتين.

(٤) توشح به: أي وضعه فوق عاتقيه.

(٥) قال الألباني رحمه الله: حديث صحيح، رجاله ثقات.

(٦) الحبرة: بكسر الحاء وفتح الباء، وهي ثياب من نوع برود اليمن تتخذ من كتان أو قطن، محبرة أي مزينة، والتحبير: التزيين والتحسن.

(٧) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٠٧٩).

(٨) أخرجه البخاري.

قال سفيان : أراها حِبَرَة [١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «عليكم بالبَياضِ من الثياب، لِيَلْبَسها أحياؤكم، وكَفِّنوا فيها موتاكم؛ فإنها من خير ثيابكم» [٢].

وعن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ : «البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيبُ، وكفنوا فيها موتاكم» [٣].

وعن عائشة قالت : «خرج رسولُ الله ﷺ ذاتَ غَداةٍ [٤] وعليه مِرْطٌ [٥] من شَعَر أسود» [٦].

وعن المغيرة بن شعبة : «أن النبي ﷺ لَبِسَ جبة [٧] رومية [٨] ضيقةَ الكُمَّين» [٩].

خف رسول الله ﷺ

عن بُرَيدة : «أن النجاشي أهدى النَّبيَّ ﷺ خُفَّيْنِ أسودَيْنِ ساذَجَيْنِ [١٠] فَلَبِسَهما، ثم توضأ ومَسَحَ عليهما» [١١].

(١) حبرة : أي مخططة بخطوط حمراء.

(٢) أخرجه أبو داود (ح ٤٠٦١)، وابن ماجه (ح٣٥٦٦) والترمذي في سننه.

(٣) أخرجه الترمذي (ح ٢٨١١) والنسائي، وابن ماجه (ح ٣٥٦٧)، وقال الألباني رحمه الله: قال الترمذي: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه الطيالسي أيضاً (١٨٠٠)، وهو صحيح بما قبله).

(٤) ذات غداة : أي بكرة.

(٥) المرط : كساء طويل واسع من خز أو صوف أو شعر أو كتان يؤتزر به.

(٦) أخرجه مسلم (ح ٢٧٨١).

(٧) الجبة : لباس معروف، وكان لبس النبي ﷺ هذه الجبة في غزوة تبوك.

(٨) الرومية : نسبة إلى بلاد الروم.

(٩) قال الألباني رحمه الله: الحديث أخرجه الشيخان أيضاً وبقية الستة.

(١٠) بفتح الذال وكسرها أي خالصين في السواد.

(١١) أخرجه أبو داود (ح ١٥٥) والترمذي (ح ٢٨٢١). وابن ماجه (ح ٣٦٢٠).

وعن المغيرة بن شعبة: «أهدى دِحية للنبي ﷺ خُفَّين فلَبِسهما» (١).

نعل رسول الله ﷺ

عن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك: كيف كان نعل رسول الله ﷺ؟ قال: «لهما قِبالان (٢)» (٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان لنعل رسول الله ﷺ قِبالان مَثْنِيٌّ (٤) شِراكهما (٥)» (٦).

وعن عيسى بن طَهمان قال: «أخرج إلينا أنس بن مالك نعلين جَرْداوَيْن (٧)، لهما قِبالان». قال: فحدثني ثابت -بَعدُ- عن أنس: «أنهما كانت نعلي النبي ﷺ» (٨).

وعن عُبيد بن جُريج أنه قال لابن عمر: رأيتك تلبس النعالَ السِّبْتِيَّةَ (٩) قال: «إني رأيت رسول الله ﷺ يَلبَس النعال التي ليس فيها شعر، ويتوضأ فيها (١٠) فأنا أحب أن ألبَسَها» (١١).

---

(١) أخرجه الترمذي (ح ١٧٦٦).

(٢) القبالان: تثنية قبال بكسر القاف، ويسمى شِسعاً، والشسع أحد سيور النعل، فالقبال هو السير الذي فيه الشسع الذي يكون بين إصبعي الرجل.

(٣) أخرجه الترمذي (ح ١٧٧٣)، وأبو داود (ح٤١٣٣) ومسلم والنسائي، والبخاري.

(٤) بفتح الميم والنون وسكون الثاء، من التثنية، وهي جعل الشيء اثنين.

(٥) الشراك: أحد سيور النعل يكون على وجهها.

(٦) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٦١٤). وقال الألباني رحمه الله: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٧) أي لا شعر عليهما، استعير من أرض جرداء لا نبات فيها.

(٨) صحيح البخاري.

(٩) أي: التي لا شعر عليها نسبة للسبت بكسر السين، وهو جلود البقر المدبوغة لأن شعرها سبت وسقط عنها بالدباغ، ومراد السائل أن يعرف حكمة اختيار ابن عمر لبس السبتية.

(١٠) أي يتوضأ والرجل في النعل.

(١١) أخرجه البخاري.

وعن أبي هريرة قال: «كان لنعل رسول الله ﷺ قبالان»(١).

وعن عمرو بن حريث قال: «رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مَخْصُوفَتَيْن(٢)»(٣).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَمْشِيَنَّ أحدكم في نعلٍ واحدةٍ، لِيَنعَلْهُما(٤) جميعًا، أو لِيُحفِهما(٥) جميعًا»(٦).

وعن جابر: «أن النبي ﷺ نهى أن يأكل - يعني - الرجل بشماله، أو يمشي في نعل واحدة»(٧).

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا انْتَعَلَ أحدُكم فَلْيَبْدَأ باليمين، وإذا نَزَعَ فليبدأ بالشِّمال، فلتكنْ أولهما تُنْعَل، وآخرَهما تُنْزَع»(٨).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب التَّيَمُّنَ ما استطاع، في تَرَجُّلِه وتَنَعُّلِه، وطهوره»(٩).

---

(١) قال الألباني رحمه الله: حديث صحيح يشهد له حديث أنس وغيره في الباب.

(٢) النعلان مخصوفتان: أي المخروزتان، أو المرقعتان، ويؤخذ من الحديث جواز الصلاة في النعلين.

(٣) قال الألباني رحمه الله: حديث صحيح، رجاله ثقات غير أن تابعيه لم يسم.

(٤) لينعلهما: أي ليلبسهما.

(٥) ليحفهما: أي ليخلعهما.

(٦) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود.

والحكمة في هذا النهي أنه تشبه بالشيطان، فقد صح في بعض طرق الحديث: «إن الشيطان يمشي في النعل الواحدة»، وهو مخرج في «الصحيحة» (ح٣٤٨).

(٧) أخرجه مسلم (ح ٩٩ - ٢).

(٨) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود (ح ٤١٣٩) وابن ماجه بنحوه، (ح ٣٦١٦) والترمذي (ح ١٧٨٠).

(٩) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٦٨) وأبو داود (ح ٤١٤٠) والترمذي والنسائي وابن ماجه بنحوه.

خاتم رسول الله ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «كان خاتمُ النبي ﷺ من وَرِق[1] وكان فَصُّه[2] حَبَشِيًا»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فِضة، فكان يَختِم به ولا يلبسه»[4].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان خاتم النبيِّ ﷺ من فضة، فَصُّه منه[5]»[6].

وعن أنس بن مالك قال: «كان نقش خاتم رسول الله ﷺ (محمد) سطر، و(رسول) سطر، و(الله) سطر»[7].

وفي رواية أخرى عنه: «أن النبي ﷺ أراد أن يكتُبَ إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل له: إنهم لا يَقبلون كتابًا إلا بخاتم، فصاغ رسول الله ﷺ خاتمًا حَلْقَتُه فضة، ونَقَشَ فيه محمد رسول الله، فكأني أنظر إلى بياضه في كفه».

وعن ابن عمر قال: «اتخذ رسولُ الله ﷺ خاتمًا من وَرِق، فكان في يده، ثم

---

(١) بكسر الراء: الفضة.

(٢) بفتح الفاء وضمها وكسرها، والمراد ما ينقش عليه اسم صاحبه، وإنما كان حبشيًا لأن معدنه بالحبشة، فإنه كان من جزع وهو خرز فيه بياض وسواد، أو من عقيق ومعدنها بالحبشة.

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٠٩٤).

(٤) قال الألباني رحمه الله: إسناده على شرط الشيخين.

(٥) الضمير في منه «يعود للخاتم» ومن للتبعيض، أي فصه بعض الخاتم ولعل الخاتم كان مربعًا، فهذا أقرب للنقش فيه. قال الشيخ الألباني رحمه الله: وهو بظاهره مخالف لحديثه المتقدم: «وكان فصه حبشيًا». وأجاب الحافظ بحمله على التعدد. أو على لون الحبشة. والله أعلم.

(٦) أخرجه البخاري.

(٧) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٠٩٢).

كان في يدِ أبي بكر ويد عمر، ثم كان في يد عثمان حتى وقع في بئر أريس[(١)]، نقشه: محمد رسول الله»[(٢)].

تختم النبي ﷺ في يمينه

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ كان يلبَس خاتمه في يمينه»[(٣)].

وعن حماد بن سلمة قال: رأيت ابن أبي رافع يتختم في يمينه، فسألته عن ذلك؟ فقال: رأيت عبدَ الله بنَ جعفرٍ يتختم في يمينه، وقال عبد الله بن جعفر: «كان رسولُ الله ﷺ يتختم في يمينه»[(٤)].

وعن ابن عمر: «أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة، وجعل فصَّه مما يلي كفَّه، ونقش فيه: محمد رسول الله، ونهى أن ينقش أحدٌ عليه، وهو الذي سقط من مُعيقيب[(٥)] في بئر أريس»[(٦)].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أنه ﷺ كان يتختَّمُ في يمينه»[(٧)].

وعن ابن عمر قال: «اتخذ رسول الله ﷺ خاتمًا من ذهب، فكان يلْبَسه في يمينه، فاتَّخذ الناسُ خواتيمَ من ذهبٍ، فطَرَحَه ﷺ وقال: «لا ألبسه أبدًا». فطرح

---

(١) أريس: بفتح الهمزة وكسر الراء/ بوزن أمير بالصرف وعدمه/ وهي بئر بحديقة قريبة من مسجد (قباء)، وتنسب إلى رجل من اليهود اسمه أريس وهو الفلاح بلغة أهل الشام.

(٢) أخرجه البخاري.

(٣) قال الألباني رحمه الله: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) أخرجه الترمذي (ح ١٧٤٤)، وابن ماجه (ح٣٦٤٧)، والنسائي.

(٥) بضم الميم وفتح العين تصغير (معقاب) كمفضال، أسلم قديمًا وشهد بدرًا وهاجر إلى الحبشة، وكان يلي خاتم النبي ﷺ، واستعمله أبو بكر وعمر وعثمان على بيت المال.

(٦) أخرجه البخاري، ومسلم (ح ٢٠٩١).

(٧) قال الشيخ الألباني رحمه الله: إسناده صحيح.

الناس خواتيمهم»(١).

عمامة رسول الله ﷺ

عن جابر قال: «دخل النبيُّ ﷺ مكة يومَ الفتحِ وعليه عِمامةٌ سوداءُ»(٢).

وعن عمرو بن حريث: «أن النبي ﷺ خطب الناسَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ»(٣).

وعن ابن عمر قال: «كان النبي ﷺ إذا اعتمَّ سَدَلَ عِمامته بين كتفيه»(٤).

قال نافع: وكان ابن عمر يفعل ذلك. قال عبيد الله: ورأيت القاسم بن محمد وسالمًا يفعلان ذلك.

وعن ابن عباس: «أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عِمامةٌ دَسْماءُ»(٥).

صفة إزار رسول الله ﷺ

عن أبي بُرْدَة عن أبيه قال: «أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كِساءً مُلَبَّدًا، وإزارًا غليظًا، فقالت: قُبِضَ رُوحُ رسولِ الله ﷺ في هذين»(٦).

وعن الأشعث بن سُلَيم قال: سمعت عمتي تُحَدِّثُ عن عمها قال: «بينا أنا

(١) أخرجه البخاري، ومسلم (٢٠٩١). وهذا الحديث يدل على تحريم خاتم الذهب للرجل ونسخ حله. وهذه الأحاديث تدل على أن الغالب هو تختم الرسول ﷺ باليمين وهذا لا يمنع جواز التختم باليسار كما ثبت في بعض الأحاديث. والله أعلم.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح ٣٥٨٤).

(٤) أخرجه الترمذي (ح ١٧٣٦).

(٥) أصل هذا الحديث عند البخاري.

(٦) أخرجه مسلم (ح ٢٠٨٠).

أمشي بالمدينة إذا إنسان خلفي يقول: «ارفع إزارك[(١)] ؛ فإنه أنقى[(٢)] »، فإذا هو رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله إنما هي بُردةٌ ملحاء[(٣)]، قال: «أما لك فيَّ أسوةٌ». فنظرت فإذا إزاره إلى نصف ساقيه»[(٤)].

وعن حذيفة بن اليمان قال: أخذ رسول الله ﷺ بعضلة ساقي أو ساقه، فقال: «هذا موضع الإزار، فإن أبيتَ فأسفلُ، فإن أبيتَ فلا حق للإزار في الكعبين»[(٥)].

جلسة رسول الله ﷺ

عن عباد بن تميم عن عمه: «أنه رأى النبي ﷺ مستلقيًا في المسجد، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى»[(٦)].

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كان رسولُ الله ﷺ إذا جلس في المسجد[(٧)] احتبى[(٨)] بيديه»[(٩)].

تكأة رسول الله ﷺ

عن جابر بن سمرة قال: «رأيتُ رسول الله ﷺ متكئًا على وسادة على يساره»[(١٠)].

---

(١) أي ارفع إزارك عن الأرض.

(٢) في نسخة (أنقى) بالنون أي أنظف من الوسخ، وأبقى أي أكثر دوامًا للثوب.

(٣) بفتح الميم تأنيث (أملح) أي فيها بياض يخالطه سواد، فالملحاء التي فيها خطوط من سواد وبياض.

(٤) أخرجه أحمد والبيهقي «الجامع الصغير».

(٥) أخرجه الترمذي (ح ١٧٨٤)، وابن ماجه (ح٣٥٧٢).

(٦) أخرجه البخاري (ح ٦٢٠٠).

(٧) في نسخة : «في المجلس».

(٨) احتبى الرجل : إذا جمع ظهره وساقيه بيديه، والاحتباء يقوم مقام الاستناد إلى الجدار.

(٩) أخرجه البيهقي، وأبو داود (ح ٤٨٤٦)، والترمذي.

(١٠) أخرجه الترمذي (ح٢٧٧١) وأبو داود (ح ٤١٤٣).

صفاته وأخلاقه

كان النبي ﷺ يمتاز من كمال خلقه وكمال خلقه بما لا يحيط بوصفه البيان، وكان من أثره أن القلوب فاضت بإجلاله، والرجال تفانوا في حياطته وإكباره، بما لا تعرف الدنيا لرجل غيره، فالذين عاشروه وأحبوه إلى حد الهيام، ولم يبالوا أن تندق أعناقهم ولا يخدش له ظفر، وما أحبوه كذلك إلا لأن أنصبته من الكمال الذي يعشق عادة لم يرزق بمثلها بشر.

كمال النفس ومكارم الأخلاق

كان النبي ﷺ يمتاز بفصاحة اللسان، وبلاغة القول، وكان من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يجهل، سلاسة طبع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم ألسنة العرب، يخاطب كل قبيلة بلسانها، ويحاورها بلغتها، اجتمعت له قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي.

وكان الحلم والاحتمال، والعفو عند المقدرة، والصبر على المكاره، صفات أدبه الله بها، وكل حليم قد عرفت منه زلة، وحفظت عنه هفوة، ولكنه ﷺ لم يزد مع كثرة الأذى إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً، قالت عائشة: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه، وما انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها، وكان أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاً.

وكان من صفة الجود والكرم على ما لا يقادر قدره، كان يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، قال ابن عباس: كان النبي ﷺ أجود الناس، وأجود ما يكون في

رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .. وقال جابر: ما سئل شيئًا قط فقال: لا .

وكان من الشجاعة والنجدة والبأس بالمكان الذي لا يجهل، كان أشجع الناس حضر المواقف الصعبة، وفر عنه الكماة والأبطال غير مرة، وهو ثابت لا يبرح، ومقبل لا يدبر، ولا يتزحزح، وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة سواه، قال علي: كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، قال أنس: فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا، وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا، لم تراعوا.

وكان أشد الناس حياء وإغضاء، قال أبو سعيد الخدري: كان أشد حياء من العذراء في خدرها، وإذا كره شيئًا عرف في وجهه، وكان لا يثبت نظره في وجه أحد، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة لا يشافه أحدًا بما يكره حياء وكرم نفسه،وكان لا يسمي رجلاً بلغ عنه شيئًا يكرهه، بل يقول: «**ما بال أقوام يصنعون كذا**». و كان أحق الناس بقول الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، اعترف له بذلك محاوروه وأعداؤه، وكان يسمى قبل نبوته الأمين، ويتحاكم إليه في الجاهلية قبل الإسلام، روى الترمذي عن علي أن أبا جهل قال له: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ **فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** ﴾ [الأنعام: ٣٣] وسأل هرقل أبا سفيان : هل تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال: لا .

وكان أشد الناس تواضعًا، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحدهم، قالت عائشة: كان يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل بيده كما يعمل أحدكم في بيته، وكان بشرًا من البشر يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه.

وكان أوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظم شفقة ورأفة ورحمة بالناس، أحسن الناس عشرة وأدبًا، وأبسط الناس خلقًا، أبعد الناس من سوء الأخلاق لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا، ولا لعانًا، ولا صخابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح وكان لا يدع أحدًا يمشي خلفه، وكان لا يرتفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخادمه: أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يحقر فقيرًا لفقره. كان في بعض أسفاره فأمر بإصلاح شاة فقال رجل: عليّ ذبحها وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال ﷺ: «وعلي جمع الحطب»: فقالوا: نحن نكفيك. فقال: «**قد علمت أنكم تكفونني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزًا بين أصحابه**»، وقام وجمع الحطب.

وإليك بعض الروايات التي تبين شيئًا من جوانب أخلاقه ﷺ:

- عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُطروني** (أي: لا تبالغوا في مدحي) **كما أطرَت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله**» [رواه البخاري].

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنّ امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت له: إن لي إليك حاجة. فقال: «**اجلسي في أيّ طريق المدينة شئت أجلس إليك**» [رواه البخاري ومسلم].

- وعنه ﷺ قال: «إن كانت الأمة (أي: الجارية) لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنطلق به حيث شاءت» [رواه البخاري].

- وعنه ﷺ: «أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبيان يلعبون فسلَّم عليهم» [رواه مسلم].

- وعنه ﷺ قال: «كان النبيُّ ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنِخة (وهو الدهن المتغير الرائحة من طول الفترة) فيجيب، ولقد كان له دِرعٌ عند يهودي فما وجد ما يفكُّها حتى مات» [رواه البخاري].

- وعنه ﷺ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أُهدي إليَّ كُراعٌ (أي: ساق الشاة) لَقَبِلْتُ، ولو دُعيتُ عليه لأجبتُ» [رواه البخاري].

- وعن جابر ﷺ عنه قال: «جاءني رسول الله ﷺ ليس براكبِ بغلٍ ولا بِرْذَوْن (وهي دابة عظيمة الخلق تشبه الخيل)» [رواه البخاري]

- وعن عَمْرة قالت: قيل لعائشة: ماذا كان يفعل رسول الله ﷺ في بيته؟ قالت: «كان بشراً من البشر، يَفْلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه» [رواه البخاري].

عن أنس بن مالك ﷺ قال: «خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال أفٍّ (وهي كلمة تضجُّر وتبرُّم) قطُّ، وما قال لي لشيء صنعتُه: لِمَ صنعته، ولا لشيءٍ تركتُه، لِمَ تركتَه، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، ولا مَسِسْتُ خزًا (نوع ثياب تعمل من صوف وحرير) ولا حريراً ولا شيئًا كان ألين من كفِّ رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط ولاعطراً كان أطيب من عَرَق النبي ﷺ» [رواه البخاري].

- وعن عائشة ﷺ قالت: «ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ بيده شيئًا قط إلا أن

يجاهد في سبيل الله، ولا ضَرَبَ خادماً ولا امرأةً». [رواه مسلم]

- وعنها قالت: «ما رأيت رسول الله ﷺ مُنْتَصِراً من مظلمة ظُلِمَها قطُّ ما لم يُنْتهكْ من محارم الله شيء، فإذا انْتُهِكَ من محارم الله شيء كان مِنْ أشدِّهم في ذلك غضباً، وما خُيِّرَ بين أمرين إلا اختار أيسرهما، ما لم يكن مأثماً» [رواه البخاري ومسلم].

- وعنها رضي الله عنها قالت: استأذن رجلٌ على رسول الله ﷺ وأنا عنده، فقال: «بئس ابنُ العشيرة أو أخو العشيرة». ثم أذِنَ له، فلما دخلَ ألانَ له القولَ، فلما خرج قلت: يا رسول الله! قلتَ ما قلتَ، ثم ألَنْتَ له القول! فقال: «يا عائشة إنَّ من شرِّ الناس مَنْ تركه الناسُ أو وَدَعَه الناسُ اتقاءَ فُحْشِه». [رواه البخاري ومسلم].

- وعن جابر بن عبد الله قال: «ما سُئِلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا». [رواه البخاري ومسلم]

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجودَ الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حتى ينسلخ، فيأتيه جبريلُ فيَعْرِضُ عليه القرآن، فإذا لقيه جبريلُ كان رسول الله ﷺ أجودَ بالخير من الريح المرسلة» [رواه البخاري ومسلم].

- وعن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقبلُ الهديَّة، ويُثيبُ عليها» [رواه البخاري].

- عن أبي سعيد الخدري قال: «كان ﷺ أشدَّ حياءً من العذراء (أي: البنت البكر) في خِدْرِها (أي: سترها)، وكان إذا كَرِهَ شيئاً عُرِفَ في وجهه (أي: يتغير وجهه)» [رواه البخاري ومسلم].

رجاحة عقله

نكتفي من عشرات الأمثلة الدالة على ما كان للنبي محمد ﷺ من كمال العقل ورجاحته بأربعة أمثلة، اثنين منهما قبل نبوته واثنين بعدها، فأما اللذان قبل نبوته ﷺ فهما:

١- حضوره حلف الفضول وقوله فيه: «**لقد حضرت حلف الفضول بدار عبد الله بن جدعان، وما أحب أن لي بحلف حضرته في دار عبد الله بن جدعان حُمْر النعم، ولو دعيت به لأجبت**».

فهذا الحلف تم على أساس نصرة المظلوم، والوقوف إلى جنبه حتى يؤخذ له الحق ممن ظلمه، فحضور النبي ﷺ له تأييداً للحق، واغتباطه به حتى قال: «**ما أحب أن لي حمر النعم**» دال على كمال عقله ورجحانه بدون شك.

٢- حكمه بأن يوضع الحجر الأسود في ثوب، ثم تأخذ بأطراف القبائل القرشية، حتى إذا بلغ الحجر مكانه من جدار البيت تناوله هو ووضعه في مكانه، فقضى بذلك على خصومة من أشد الخصومات، وحقن دماء كانت قد تراق لولا ذلك التصرف الحكيم، الذي إن دل على شيء فإنه يدل على كمال العقل المحمدي ورجاحته بما لا مجال للشك فيه.

وأما المثالان اللذان في عهد نبوته فهما:

١- تنازله لقريش على كتابة لفظه (الرحمن الرحيم)، وعلى لفظ (رسول الله) في كتابة وثيقة المعاهدة التي أبرمها مع قريش عام صلح الحديبية، إذ أمر الكاتب وهو علي بن أبي طالب أن يكتب: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، فقال ممثل قريش وهو سهيل بن عمر: أمسك، لا أعرف الرحمن الرحيم، بل اكتب باسمك اللهم، فتنازل عن ذلك وكتب باسمك اللهم. ولما قال للكاتب: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**»، قال ممثل قريش: أمسك لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن

اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، فتنازل عن ذلك وكتب في حين أن أصحابه وعلى رأسهم عمر وعلي قد كرهوا ذلك وأبو أن يفعلوه، ورأوه أنه إعطاء للدنية في دينهم، غير أن النتائج الطيبة التي أعقبت ذلك التنازل دلت على قصر نظر القوم. وبعد نظر الرسول ﷺ، وكمال عقله ورجاحته، الأمر الذي كان به مضرب المثل في كمال العقل، وحسن السياسة، والتدبير.

٢- لما دخل ﷺ مكة يوم الفتح منتصراً ووجد رجالات قريش قد تجمعوا حول الكعبة ينظرون حكم الفاتح المنتصر فيهم ناداهم ﷺ قائلاً: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم**»؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

إن هذا الموقف المثالي في تاريخ العظماء ينم قطعًا على ما أوتي رسول الله محمد ﷺ من رجحان العقل وكماله، وما أصبح به مثلاً عاليًا في هذا الشأن.

شجاعته

إن شجاعة قلب النبي ﷺ لم تكن أقل من رجاحة عقله، إنه قد بلغ فيها بحق المثالية التي لا توصف، وناهيك في إثبات هذا الخلق العظيم أن يقول أفذاذ الأبطال كعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وخالد بن الوليد، وغيرهم ممن عرفوا بالبطولات النادرة، والشجاعات الفذة أن يقولوا: كنا إذا حمي الوطيس واشتد البأس نلوذ برسول الله ﷺ نتقي به. لقد انهزم الجيش الإسلامي يوم حنين شر هزيمة، وثبت رسول الله ﷺ في الميدان وحده حتى ثاب إليه أصحابه، وقاتل بهم حتى انتصر نصراً ساحقًا على أعدائه، وأمسوا في قبضته وتحت سلطانه ولهذا الموقف نظيره في أحد أيضًا.

سياسته

إن سياسة النبي ﷺ وفي كلا مجاليها المدني والعسكري، أو السلمي والحربي كانت وبدون شك ولا مبالغة مضرب المثل على نحو لم يطمع في الوصول إلى مثله

أحد من الناس ومهما أوتي من الكمال في هذا الخصوص. ولنكتف في الاستشهاد على هذه المثالية في السياسة المحمدية الرشيدة السديدة بذكر مسائل معينة منها:

إذنه ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد أن اشتد أذى المشركين لهم، حيث علم أنه لايقدر على دفع الأذى عنهم، وأن بالحبشة ملكًا صالحًا كريمًا، سيكرم وفادة أصحابه، ويحسن جوارهم وهو أصحمة النجاشي، فكان هذا الإذن بالهجرة تدبيرًا سياسيًا جديرًا بالتقدير والاحترام.

اتخاذه دار الأرقم بن أبي الأرقم مركزًا للدعوة الإسلامية أيام اضطهاد المشركين لها، وتثقيف أصحابه فيها، وتربيتهم، وتعليمهم - كان تدبيرًا حكيمًا دل على رشد في السياسة وحسن فيها، مع حكمة التصرف، وكمال التدبير.

عقده اتفاقيتي العقبة - وهما بيعتان بايع فيهما رجالاً من أهل المدينة لتأمين الهجرة إليها، و حماية المهاجرين فيها، ثم أمره أصحابه بالهجرة، وبالتالي هجرته هو ﷺ إليها، مما جعلها في بضعة أعوام دار إسلام، وعاصمة خلافة في الأرض، ومنطلق فتح، وهداية لكافة البشر.

معاهدات لطوائف اليهود الثلاث بالمدينة، وما حققته تلك المعاهدات من فوائد للدعوة الإسلامية، وما وفرته من حماية لها أيام حاجاتها الملحة إلى الحماية والتأمين، وذلك لضعفها، ومناوأة كل الناس لها. مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، تلك المؤاخاة التي لحمت ما بين المهاجرين النازحين وأهل البلاد المواطنين فجعلتهم كجسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائره بالحمى والسهر، تلك المؤاخاة التي لم يتم نظيرها على وجه الأرض قط، تحققت بفضل الله تعالى، ثم بتلك الحنكة السياسة والرشد المنقطع النظير فيها.

زواجه ﷺ من خديجة وهي بنت أربعين سنة، وهو شاب لم يتخط الخامسة والعشرين من عمره، ثم زواجه من عدة أرامل من النساء المسنات، وزواجه من أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وسنها لم يتجاوز التاسعة من عمرها، كل ذلك دال على

بعد نظر، وعمق سياسة، وحسن تصرف، وكمال تدبير، حيث أعطى به لدعوة ربه الإسلامية دفعًا قويًا إلى النصر والتقدم، والانتشار، ما لم تكن لتصل إليه وتحققه لولا تلك السياسة الحكيمة الرشيدة.

سراياه وغزواته العديدة، والتي تجلت في جميعها الخبرة العسكرية، والقيادة المثالية الحكيمة، والأمر الذي اعترف به الصديق والعدو على حد سواء، ويكفي في تقرير ذلك أنه في خلال عشر سنوات من جهاده المقدس انتظم الإسلام أرض الجزيرة العربية كلها، واستنارت بنوره كل ديارها، وأن قتلى تلك الحروب والمعارك الهائلة التي دارت رحالها مدة عشر سنوات تقريبًا ودانت نتيجة لها أرض شبه الجزيرة كلها بالإسلام - لم يتجاوز الألفين والخمسمائة ما بين شهيد وقتيل.

رحمته

إن الرحمة التي كان يحملها قلب النبي ﷺ لرحمة مثالية، لا تتأتى لغيره من بني الناس، وإذا أردنا أن نذكر بعض مظاهرها، تقريراً لها، فماذا عسانا أن نذكر منها بعد أن قال الله تعالى فيه: ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومع هذا فلنشر إلى بعض المظاهر للرحمة المحمدية والتي منها:

١- رفع إليه ولده إبراهيم بن مارية القبطية رضي الله عنهما، وهو مريض يجود بنفسه، فوضعه بين يديه وبكى ﷺ، وقال: «**إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون!**».

٢- زار مرة قبر أمه بين مكة والمدينة، وقف عليه وبكى طويلاً، وانصرف وهو يقول: «**استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي...**».

٣- ولما فتح رسول الله ﷺ القموص حصن بني أبي حقيق (من خيبر) أتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى، فمر بهما بلال على

قتلى يهود فلما رأتهم الجارية التي مع صفية صاحت، وصكت وجهها، وحثت التراب على رأسها فلما رأى رسول الله ﷺ بتلك الجارية ما رأى قال: « **أنزعت منك الرحمة يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما** » . ولم تكن رحمته ﷺ قاصرة على بني الناس فحسب بل تعدتهم إلى الحيوانات، فكان يقول ﷺ : «**في كل ذات كبد رطبة أجر**» ويقول: «**عذبت إمرأة في هرة أوثقتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت**» . وأخبر مقرراً الرحمة وآثارها في أهلها فقال: «**بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغيٌ من بغايا بني إسرائيل، فنزعت موقها فسقته، فغفر لها به**» .

كرمه

إن الكرم النفسي الذي كان يتحلى به رسول الله ﷺ لا يأتي عليه الوصف، وكيف يوصف كرم من لم يسأل شيئًا طول حياته وهو في حوزته وقال: لا قط؟ خرج يومًا وعليه حلة من أجمل الحلل، فرآه أحد أصحابه، فعزم أن يطلبها ليلبسها تمس جلده بعد أن مست جلد الرسول ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أعطنيها. فدخل رسول الله ﷺ بيته فخلع الحلة وأتاه بها.

جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: (يا قوم أسلموا فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة).

وبايع مرة جابر بن عبد الله في جمل له كان قد كلَّ في السفر، فباعه إياه بكذا مائة درهم، و لما جاء يتقاضاه الثمن أعطاه الثمن والجمل.

الله أكبر ماذا يذكر عن كرم محمد ﷺ ؟ إنه في هذا الباب كما في غيره المثل الأعلى في الكرم النفسي.

عدله

إن المثالية في عدل محمد ﷺ تتجلى في مواقف عديدة، نقتصر منها على موقفين لم يقفهما غيره قط، أولها: حينما سرقت المخزومية ، وجاء أسامة بن زيد

مدفوعًا برجـالات قريش يشفع لها في إسقاط الحد عنهـا، فقال له رسول الله ﷺ وهو في غضب شديد: « **أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها** ». وثانيهما: أن رسول الله ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به القوم، فمر سواد بن غزية حليف بني عدي ابن النجار وهو مستنتل - أي متقدم - من الصف طعن في بطنه بالقدح وقال: «**استو يا سواد**» فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني !! فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: « **استقد...** ».

عفوه وحلمه

إن الاستقصاء للشمائل المحمدية غير محتمل أبدًا وأحسن من قال:

إنما مثلوا صفاتك للناس   كما مثل النجـوم الماء

ولذا فإننا نكتفي دائمًا بنماذج لذلك الكمال المحمدي في كل مظهر من مظاهره.

ومن شمائل الحلم والعفو عنده ﷺ نذكر الأمثلة التالية:

١- صح أنه كان ﷺ في غزاة فأعطى رجاله فرصة للاستراحة فيها، فانتشروا في واد يستريحون تحت ظلال أشجاره، وأتى هو شجرة فعلق سيفه في أحد أغصانها ونام، فجاء أعرابي من المشركين فاخترط السيف وقال للرسول: من يمنعك اليوم مني يا محمد ؟ فرفع إليه رسول الله ﷺ رأسه وقال: « **الله** » فارتاع الرجل، فسقط السيف من يده، فتناوله الرسول ﷺ وقال: «**من يمنعك أنت الآن مني ؟**» فقال الأعرابي: لا أحد، فعفا عنه الرسول وانصرف.

إنه عفو بعد مقدرة، وهو من العفو الكريم الذي يستحق صاحبه كل إجلال وتقدير.

٢- قسم ﷺ مالاً بين الناس فجاءه أعرابي فجذبه من طرف ردائه وقال: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله: فغضب رسول الله ﷺ وما زاد على أن قال:

«فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ؟ رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر» .

٣- دخل أعرابي مسجده ﷺ، واضطرته الحاجة إلى البول، فانتحى ناحية من المسجد وأخذ يبول، فانتهره أصحاب الرسول ﷺ وصاحوا فيه، فقال: لهم رسول الله ﷺ «دعوه لا تزرموه». فتركوه حتى قضى حاجته من بوله، ثم أمر رسول الله ﷺ بدلو من ماء فصب عليه، فحلم الرسول ﷺ أنطق الأعرابي فقال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فقال الرسول ﷺ: «تحجرت واسعًا».

كانت هذه نماذج من المثالية المحمدية وهي أحد مؤهلات ثلاثة تقدم اثنان منها وبقي الثالث، وهو شرف النسب، وطيب الأصل.

فلنلق نظرة على تلك الأرومة الطاهرة، وذلك المحتد الشريف، فنقول: إن من ينظر بإنصاف في النسب النبوي الشريف يجده بحق أشرف نسب وأطيبه، وأطهره، وأزكاه على الإطلاق إنه لم يعرف التاريخ البشري نسبًا كان أوضح وأنصع، ولا أطيب، ولا أطهر من نسب النبي ﷺ، إذ قريش كانت أشرف القبائل العربية بلا منازع ولا مدافع، وبنو هاشم كانوا أشرف قبائل قريش أيضًا بلا منازع، والأنبياء يبعثون دائمًا في أشرف أقوامهم هذه الكلمة قالها هرقل ملك الروم وعظيمها.

ولنستمع إلى الرسول ﷺ نفسه وهو يقر هذه الحقيقة فيقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم».

فكان ﷺ خياراً من خيار من خيار.

وأخيراً فهذه مؤهلات النبوة كلها قد توفرت لرسول الله ﷺ وبصورة لا أكبر منها، ولا أوضح، فهل يصح في العقول نفي نبوته، أو جحود رسالته ؟ اللهم، لا. إلا أن يكون ذلك من جاهل متعصب، أو من مغرض ذي طمع فاسد، يجاحد ويعاند، ومع هذا فسنورد طرفاً من الأدلة العقلية والنقلية ما تؤكد به نبوته ﷺ، ونقرر به وجوب

الإيمان به، وبكل ماجاء عن الله من الهدى والخير، وتحتم اتباعه، واتباع دينه، توخيًا للحق، وطلبًا للنجاة من العذاب، وفوزًا بالنعيم الأخروي في الملكوت الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

وجوب الإيمان بنبوة محمد ﷺ وأدلة ذلك

إن تلك المؤهلات العقلية والشرعية الدينية، وقد توفرت كاملة للنبي ﷺ لكافية في إيجاب الإيمان بنبوته ورسالته ﷺ بيد أنه لا مانع من المزيد من ذكر الأدلة والبراهين، تأكيدًا لنبوته ﷺ، وتقريرًا لها، حتى تجعل الإيمان بها اضطراريًا لا يمكن دفعه إلا على ضرب من التمحل والمكابرة و العناد والمجاحدة.

ومن تلك الأدلة:

أ- شهادة الكتب السابقة على نبوته، وتبشير الأنبياء السابقين بها (١):

فقد جاء في إنجيل يوحنا:

---

(١) الإسرائيليات هي الأخبار التي تتحدث عن أهل الكتاب والأمم السابقة على الإسلام. وهي على قسمين:

القسم الأول: ما جاء ذكره في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وهذا كثير مشهور، فقصص الأنبياء تملأ القرآن والسنة، وما قصة الأعرج والأبرص والأعمى الذين ابتلاهم الله عز وجل، وقصة الثلاثة الذين أووا إلى غار فانغلق عليهم، والرجل الذي قتل مائة نفس... إلى آخر ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنته إلا أمثلة واضحة على ذلك. فهذا القسم مقبولٌ مطلقًا.

القسم الثاني: وهو ما تلقته الأمة عن علماء أهل الكتاب خاصة من أسلم في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعده مثل: عبد الله بن سلام ﷺ، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه وأمثالهم.
وهذا ينقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما جاء موافقًا لما في الكتاب والسنة، أو أحدهما، فهذا نقبله اعتمادًا على الكتاب والسنة واكتفاءً بهما، ولكن هذا مما يشرح صدور المؤمنين ويزيدهم إيمانًا على إيمانهم بنطق مخالفيهم بالحق.

النوع الثاني: ما جاء مخالفًا للكتاب والسنة، أو أحدهما، فهذا نرده ولا نقبله، ونعتقد أنه مما حرّفوه وغيّروه.

النوع الثالث: ما جاء عنهم وليس له ذكر في الكتاب والسنة، وهو كما سبق ذكره، مما يمكن الاستغناء عنه، ومع ذلك فنحن لا نصدقه احتمالاً أن يكون من كذبهم وتحريفهم، ولا نكذبه احتمالاً أن يكونوا صدقوا فيه، وإنما نكتفي بحكايته.

١- إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من (الأب) فيعطيكم معزيًا (فارْقليط) آخر ليمكث معكم إلى الأبد).

فالفارقليط ترجمته: محمد أو أحمد. وبقاؤه معهم إلى الأبد هو بقاء دينه وكتابه وسنته، إذ هذه محفوظة بحفظ الله، وباقية ببقاء هذه الحياة وهذا معنى إلى الأبد في قوله: (يبقى معكم إلى الأبد).

٢- لكني أقول لكم الحق، إنه خير لكم أن أنطلق، لأني إن لم أنطلق لم يأتكم المعزي (الفارقليط)ولكنْ إن ذهبت أرسلته إليكم . فالفارقليط هو محمد ﷺ، ولو لم يذهب عيسى عليه السلام برفع الله تعالى له لما بعث محمد ﷺ إذ بعثة النبي ﷺ كانت على فترة من الرسل كما قال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩].

٣- (والفارقليط روح القدس الذي يرسله الأب، باسمي هو يعلمكم كل شيء، وهو يذكركم بكل ما قلته لكم) . فالفارقليط روح القدس هو محمد ﷺ الذي يرسله الله إلى الناس كافة ومن بينهم اليهود والنصارى كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٧٠].

فجاء في هذه الآية القرآنية لفظ الرسول معرفًا بالألف واللام، وهي وإن دلت على تفخيم الرسول ﷺ وتعظيمه في كماله فإنها دال على العهدية، فهي إشارة إلى ما في الكتابين - التوراة والإنجيل - من البشارة بالرسول محمد ﷺ كما ذكرنا ونذكر، وكما اعترف به الصالحون والمنصفون من علماء الطائفتين - اليهود والنصارى -.

وجاء في سفر التثنية من التوراة قوله: (جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران، ومعه ألوف الأطهار).

فهذه شهادة صريحة من التوراة واضحة لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته، إذ معنى هذا اللفظ: أن الله تعالى ناجى موسى وأوحى إليه بسيناء، وأرسل عيسى وأوحى إليه بساعير وهي من أرض الجبل بالقدس، وبعث محمداً ﷺ رسولاً معلناً كلمة (لا إله إلا الله) مستعلناً بها من مكة الواقعة بين جبال فاران، كجبل أبي قبيس وحراء وغيرهما من جبال مكة المحيطة بها.

ب- شهادة علماء أهل الكتابين:

جاء من سورة الشعراء قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الشعراء: ١٩٧]. فقد وبخ الله العرب الكافرين على عدم إيمانهم برسالة محمد ﷺ مع وجود آية عظيمة تدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، وهي معرفة علماء بني إسرائيل وشهادتهم له بأنه نبي الله، وما جاء به هو من عند الله. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: ١٤٦: ١٤٧].

فقد أخبر تعالى في هذه الآية أن الذين أوتوا الكتاب - التوراة الإنجيل - يعرفون نبوة محمد ﷺ وصدقه فيها معرفة مثل معرفتهم لأولادهم، كما أخبر أن فريقاً كبيراً منهم يكتمون الحق بعد معرفتهم له.

ولذا لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ بعد معرفتهم لها تمام المعرفة.

ونكتفي بشهادة عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن غيرها من شهادة كثير من علماء اليهود وأحبارهم، روى البخاري في صحيحه من كتاب الأنبياء عن أنس بن مالك: أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال:

ما أول أشراط الساعة ؟

وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟

ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟

فقال رسول الله ﷺ : «أخبرني بهن آنفًا جبريل»، قال عبد الله بن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال عبد الله بن سلام: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود، ودخل عبد الله البيت، فقال الرسول ﷺ : «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟» قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ : «أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقالوا أشرنا وابن أشرنا ووقعوا فيه!!).

وبعد: فإن شهادة عبد الله بن سلام هذه تعد من أكبر الشهادات بعد شهادة الله ورسوله ﷺ لمحمد بالنبوة والرسالة ولذا لم نذكر بعدها من شهادات علماء اليهود شهادة غيرها.

أما علماء النصارى فإن لهم من الشهادات برسالة محمد ونبوته مالا يسعه المقام، فلذا فإنا نكتفي من كل ذلك بشهادة عظيمة أقرها القرآن، وسجلها في صفحاته، ألا وهي شهادة الملك الصالح أصحمة النجاشي، إذ جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢ : ٨٥].

فقد أجمع علماء التفسير والأخبار والسير على أن هذه الآيات نزلت في النجاشي وأصحابه المؤمنين فقولهم: ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴾. قولهم هذا يعد شهادة عظيمة بالإسلام، ونبيه، وكتابه وأمته، ولنسمع إلى شهادة النجاشي رحمه الله تعالى من خلال رده على كتاب رسول الله ﷺ الذي ورده وهو في دار ملكه، وحاضرة بلاده، إذ جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم) : إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته. لا إله إلا الله هو الذي هداني إلى الإسلام فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقربنا ابن عمك (جعفر) وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين. وبعثت إليك يا نبي الله بأريحا بن الأصحم بن أبجر فإني لا أملك إلا نفسي. وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله.

جـ - شهادة بلايين من المسلمين:

إن إيمان بلايين البلايين من المسلمين الذين شهدوا لمحمد ﷺ بنبوته ورسالته وآمنوا به حق الإيمان، واتبعوا ما جاء به من الحق والهدى، وجاهدوا دونه، وبينهم العلماء والحكماء، والصلحاء الصادقون الذين يفوق عددهم الحصر، ويتعذر الإحاطة بهم علمًا - لهو من أعظم الشهادات وأقواها، وأكثرها إقناعًا للعقول، وجلبًا للطمأنينة والسكون في نفوس المؤمنين بنبوة محمد ورسالته ﷺ.

د- شهادة الحق عز وجل وملائكته:

إن شهادة الله عز وجل، وشهادة ملائكته للنبي محمد ﷺ بالنبوة والرسالة لشهادة مغنية عن كل شهادة. قال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٦٦].

ولولا كزازة النفوس، ورعوناتها، وظلمات الجهل بالله تعالى التي تغشى كثيراً من قلوب الناس لما ذكرنا مع شهادة الله تعالى لمحمد ﷺ بالرسالة شاهداً أبداً، ولكن نظراً لما ذكرنا أوردنا تلك الشهادات السابقة وقفَّينا عليها بشهادة الله تعالى التي لا يردها عاقل أبداً.

وشهادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين: شهادة أخبار، وشهادة معجزات. فشهادة الأخبار: هي أخباره تعالى في كتابه عن وحيه واصطفائه لرسوله وإرساله ونصرته إياه، وشهادة المعجزات هي: ما أظهره الله تعالى على يد نبيه من خوارق العادات، إذ كل خارقة تقول بلسان حالها عن الله تعالى: صدق محمد عبدي ورسولي فيما أخبر عني من أني أرسلته وهو رسولي.

ومن شهادة الأخبار ما يلي:

قوله تعالى: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ** ﴾ [الفتح: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [البقرة: ١١٩].

قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** ﴾ [النساء: ١٦٣]

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٥: ٤٦].

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** ﴾ [المائدة: ٦٧].

قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ** ﴾ [النساء: ١٧٠]

ومن شهادة المعجزات ما يلي:

١- نزول القرآن الكريم عليه وحيًا أوحاه الله تعالى إليه، فإنه أكبر معجزة عرفها الوجود البشرى، إذ العادة قاضية بأن أميًا لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس بين يدي أستاذ أو مرب أو معلم قط، قاضية باستحالة تكلمه بالعلوم والمعارف ومعرفته لها وتفوقه فيها، فضلاً عن أن يأتي بما لم يأت به غيره من كل معاصريه وممن يأتي بعدهم إلى انقراض الحياة ونهاية الكون.

٢- فالقرآن الكريم قد حوى أعظم تشريع، واشتمل على قدر من العلوم الإلهية، وعلى أثبت الحقائق العلمية كنظام الزوجية والقوانين الكونية، كما تعرض لبدء الخليقة، وذكر من قصص الماضين وأخبار السابقين الشيء العجب، وأخبر بمغيبات عديدة فكانت كما أخبر حرفيًا ولا زيادة أو نقصان - هذا الكتاب يأتي به أمي يتحدى كل الخلق على الإتيان بمثله، أو بعشر سور من مثل سوره، أو سورة واحدة، فتعجز البشرية ومعها الجن كلهم، وتطاطئ رأسها، وتسكت عن المعارضة لأكبر معجزة أوتيها محمد ﷺ، لتدل على صدق نبوته، وثبوت رسالته، عرف هذا فداه أبي وأمي حين قال: «ما من الأنبياء من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحي إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة».

وهذه صورة التحدي قائمة إلى يوم القيامة وتحويها آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣: ٢٤].

فقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ أي الإتيان بسورة قرآنية من أمي مثل محمد ﷺ في أميته، وهذا التحدي وهو نفي الإتيان بسورة من أمي مثل محمد في أميته ما زال قائمًا، وقد مضى عليه الآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ولا يؤمل أبدًا أن

يأتي أحد فيبطله بأن يأتي بسورة قرآنية من رجل أمي لم يقرأ أو لم يكتب قط. هيهات . هيهات أن يأتي أحد بمثل هذا القرآن والله يقول: ﴿ولن تفعلوا﴾.

٢- فيضان الماء من بين أصابعه بالحديبية حتى سقى وروى جيشًا كاملاً قوامه ألف وأربعمائة رجل وامرأة.

٣- تكثير الطعام يوم الخندق حتى أطعم بصاع من شعير وجدي صغير جيشًا كاملاً تعداده ألف رجل أو يزيدون.

٤- حنين الجذع إليه ﷺ ونطقه وسماع مئات الرجال الأخيار له، وعدم سكوته إلى أن أتاه الرسول وهدهده كما تهدهد الأم طفلها فسكت.

٥- رده ﷺ عين قتادة حيث خرجت حتى تدلت على وجنته بسبب ضربة أصابته يوم أحد فردها ﷺ، ومسح عليها فكانت أحسن منها قبل إصابتها.

٦- تسبيح الطعام بين يديه ﷺ وأصحابه يسمعون، وهم عدد كبير من خيار البشر.

٧- انشقاق القمر له ﷺ حين طلبت قريش ذلك استدلالاً على نبوته ﷺ فانشق القمر فكان فلقتين على جبل أبي قبيس وأهل مكة كلهم يشاهدون، ويعجبون أثبتت هذه الحادثة في القرآن الكريم بقول الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾

[القمر: ١]

٨- تسليم الشجر والحجر عليه على مرأى من الناس ومسمع، عشرات المرات.

٩- الإسراء به ﷺ، والعروج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماء السابعة حيث سدرة المنتهى عند جنة المأوى، فبلغ مستوى سمع فيه صريف الأقلام، وناداه ربه، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس، كل هذه المعجزات وغيرها كثير قد ثبت بما هو أشبه بالمتواتر من الأخبار.

١٠- إخباره بالمغيبات الكثيرة (!) فكانت كما أخبر.

وهذا باب عظيم لا يتسع المقام لذكره بل يحتاج لمصنفات كثيرة وكل هذا مما يدل على صدقه ونبوته ﷺ.

اللهم صل على محمد وآله وصحبه والمؤمنين به الناهجين نهجه، المستقيمين على صراطك المستقيم إلى يوم الدين.

١٥- ختم النبوات:

والكلمة الأخيرة في مبحث الإيمان بالرسل عليهم السلام نتناول فيها أمرين هامين:

أولهما: ختم سائر النبوات.

وثانيهما: النبي الخاتم.

أما عن الأمر الأول فنقول: إن الله تعالى قد ختم سائر النبوات بآخر نبوة، وهي نبوة محمد رسول الله ﷺ، فلم يبق من مطمع لأحد في أن يدعي النبوة، أو يؤتاها بعد نبوة محمد النبي الأمي أبداً، ومن جهل هذه الحقيقة، أو تجاهلها تضليلاً وخداعًا وادعى النبوة فقد كذب على الله، وأعظم الفرية عليه، وكذبه في قوله، وكذب على خلقه، ولم يلبث طويلاً حتى يفتضح شر فضيحة ويلعن بين الناس كما حصل لعدد من الدجالين الكذابين مثل مسيلمة الكذاب في الأولين، وأحمد مرزا غلام. في الآخرين عليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وذلك لأن الله تعالى قد أخبر بختم النبوات بنبوة محمد ﷺ في قوله: ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وبهذا كان الإيمان بمحمد ورسالته والعمل بها ضرورياً للنجاة من عذاب يوم القيامة، وللفوز بالنعيم المقيم فيه، وأيما عبد لا يؤمن بهذه الرسالة ولا يعمل بمحتواها في حدود طاقته وما يستطيع إلا هو من أهل الخسران يوم القيامة، ولا ينفعه

إيمان بالله ولا بأنبيائه، وذلك لعدم عمله برسالة محمد الختامية، التي جعلها الله تعالى مزكية للنفوس، مطيبة للأرواح فلا تزكو نفس امرئ إلا على الإيمان بها والعمل بما جاء فيها، وزكاة النفس هي المؤهل للفرد لأن ينجو من النار ويفوز بالجنة دار الأبرار، وذلك لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩-١٠]. وعن الأمر الثاني نقول: إن خاتم الأنبياء قطعًا هو النبي محمد ﷺ لقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وإن الواجب على كل إنسان في هذا الوجود البشري أن يؤمن به ويتبع ما جاء به من الحق والهدى، وذلك لأمر الله تعالى بالإيمان به وباتباع ما جاء به في مثل قوله: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [التغابن:٨].

ولتخصيص الرب تبارك وتعالى رحمته وهي الفوز بالجنة بعد النجاة من النار بمن آمن به واتبعه فيما جاء به ﷺ قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الأعراف: ١٥٦-١٥٧]

ولتعليق الله تعالى هداية الإنسان إلى الكمال البشري، وحصوله على المؤهلات الفرد للسعادة في الدنيا والآخرة على الإيمان به واتباعه إذ قال تعالى: ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وأخيرًا فإن من الأدلة السمعية على ختم النبوة، وأن محمدًا هو خاتم الأنبياء حديث الصحيحين الذي فيه يقول الرسول الخاتم ﷺ: « إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي

كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنه من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

ومثل هذا الحديث في الدلالة على ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ، وأنه الخاتم للأنبياء قبله - قوله فداه أبي وأمي في رواية الصحيحين: «إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي».

وقوله «إن لي أسماء محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي».

ومن أقوى الأدلة وأعظم البراهين على ختم نبوة محمد ﷺ لسائر النبوات نبوة محمد نبيه ورسوله - أن يمضي الآن أكثر من ألف وأربعمائة سنة على الإعلان بختم النبوات بنبوته ﷺ ولم يأت نبوة حق، ولا نبي صدق، في كل هذه الحقبة من الزمن الطويلة، في حين أنه كان قبل نبوة محمد ﷺ، تظهر النبوات في كل عصر ومصر وقد يوجد العدد من الأنبياء في الأمة الواحدة والبلد الواحد كما هو معلوم من التاريخ البشري وفي جانبه الديني بالخصوص.

الصلاة على النبي ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قال السعدي رحمه الله: «وهذا فيه تنبيه على كمال رسول الله ﷺ ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره. و﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ تعالى ﴿وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أي: يثني الله عليه بين الملائكة وفي الملأ الأعلى لمحبته تعالى إياه. ويثني عليه الملائكة المقربون ويدعون له ويتضرعون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اقتداءً بالله وملائكته وجزاءً له على

بعض حقوقه عليكم وتكميلاً لإيمانكم وتعظيماً له ﷺ ومحبة وإكراماً وزيادة في حسناتكم وتكفيراً عن سيئاتكم» اهـ.

(١) صلاة الله على نبيه ﷺ

اختلف أهل العلم في المراد بهذه الصلاة على أقوال:

- أن صلاة الله على نبيه هي ثناؤه عليه عند الملائكة.
- أن صلاة الله على نبيه هي رحمته.
- أن صلاة الله على نبيه هي مغفرته.

وأولى الأقوال: هو قول من قال أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة.

(٢) صلاة الملائكة على النبي ﷺ

وصلاة الملائكة على النبي ﷺ هي الدعاء والاستغفار، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الملائكة تصلّي على أحدكم ما دام في مصلاَّه الذي صلَّى فيه مالم يُحْدِث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» [متفق عليه].

(٣) صلاة المؤمنين على النبي ﷺ

وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ هي الدعاء بأن يصلّي الله عز وجل عليه، وهذا بيان لعظيم قدر الصلاة على النبي ﷺ حيث إن الله تعالى لم يتركها لخلقه، بل جعل صلاتهم عليه هو سؤاله سبحانه أن يُصلّي على نبيه ﷺ.

فضائل الصلاة على النبي ﷺ

(١) صلاة الله على من صلى على النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه عشراً» [رواه مسلم].

(٢) مضاعفة أجر المصلي على النبي ﷺ:

عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البِشر في وجهك يا رسول الله، فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلَّمتُ عليه عشراً» . [رواه النسائي بإسناد صحيح]

(٣) رفع درجات المصلي على النبي ﷺ وحطّ الخطيئات عنه:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صلّى عليّ صلاة واحدة صلّى الله عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» [رواه النسائي بإسناد جيد].

(٤) الأمان من الحسرة يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله عزّ وجل ويصلُّون على النبيِّ ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب» [رواه أحمد ورجاله ثقات].

(٥) الخروج من الظلمات إلى النور:

قال ابن القيم في «الوابل الصيب»(ص/ ٧٢): «إن الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى وملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته

وأخرجوهم من الظلمات إلى النور فأي خير لم يحصل لهم وأي شرٍّ لم يندفع عنهم؟!

فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله» اهـ.

صيغ الصلاة على النبي ﷺ

الصيغة الأولى :

عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ : **«قولوا اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»** [متفق عليه].

الصيغة الثانية :

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»** [رواه البخاري].

الصيغة الثالثة :

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك، قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»** [رواه مسلم].

الصيغة الرابعة :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك

هدية سمعتها من النبي ﷺ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علَّمنا كيف نُسلِّم قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» [متفق عليه].

قلت: وهذه أصحُّ صيغ الصلاة على النبي ﷺ، وثَمَّ صيغ أخرى، انظرها في كتاب «صفة صلاة النبي» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

المواضع التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ

(١) عند دخول المسجد:

عند عبد الملك بن سعيد بن سويد قال: سمعت أبا حميد وأبا أسيد الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فَلْيُسلِّمْ على النبي ﷺ ثم لِيَقُلْ: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهُمَّ إني أسألك من فضلك».

[رواه أبو داود وإسناده جيد].

(٢) بعد إجابة المؤذن:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة» [رواه مسلم].

(٣) في التشهد الأول والأخير:

عن كعب بن عجرة قال: أن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد

علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: «**قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد**» [رواه البخاري].

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في «صفة الصلاة» (ص/ ١٦٤): «فقد قالوا: يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك (أي: في التشهد)، فكيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد.. الحديث، فلم يخص تشهداً دون تشهد، ففيه دليل على مشروعية الصلاة عليه في التشهد الأول أيضًا، وهو مذهب الإمام الشافعي، كما نصَّ عليه في كتابه «الأم» وهو الصحيح عند أصحابه...» اهـ.

(٤) بين يدي الدعاء:

عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في الصلاة ولم يذكر الله -عز وجل- ولم يُصلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «**عجل هذا**» ثم دعاه ثم قال له ولغيره: «**إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ وعلى آله وسلم ثم ليدع بعد بما يشاء**» [رواه أحمد وإسناده لابأس به لحال حميد بن هانئ].

(٥) في صلاة الجنازة:

عند سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه أنه سأل أبا هريرة، كيف تصلي على الجنازة؟ فقال أبو هريرة: **أنا لعمر الله أخبرك، اتّبعها من أهلها، فإذا وضعت كبّرت وحمدت الله وصليت على نبيه** [رواه مالك وإسناده صحيح].

(٦) في كل مجلس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله عز وجل فيه ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب**» [رواه أحمد ورجاله ثقات].

الرسول ﷺ في الرفيق الأعلى

يوم الاثنين

وفي يوم الاثنين وبينما الصحابة في صلاة الفجر وأبو بكر يصلي بهم، أراد ﷺ أن يطمئن إلى حالهم في الصلاة خلف إمامهم، وأن تقر عينه برؤيتهم في صفوف منتظمة قبل أن يفارقهم، فتحامل على نفسه حتى وقف على قدميه، ومد يده إلى الستر ليرفعها ويرى الناس.

وبينما المسلمون على تلك الحال من الخشوع والانتظام إذا بالستر من حجرة عائشة ينكشف أمامهم ويظهر لهم وجه رسول الله ﷺ تعلوه ابتسامة مشرقة. فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم فرحًا برسولهم الذي تخلف عنهم ثلاثة فروض، وقد عبر أنس بن مالك رضي الله عنه بهذا المشهد حين قال: «وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر» [صحيح البخاري].

ومما قاله أنس أيضًا: وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة.

فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فلما اطمأن ﷺ على حال المسلمين وهم خلف إمامهم في صفوف منتظمة تبسم تبسم الرضى وضحك مسرورًا، ثم أشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة وأرخى الستر.

فاطمة تبكي

ولما ارتفع الضحى، دعا النبي ﷺ فاطمة رضي الله عنها، فلما جاءت ورأت أباها ممتدًا على الأرض لم تتمكن قواه أن تحمله. وكان من عادته ﷺ إذا رأى فاطمة

هب واقفًا وقبَّل ما بين عينيها ثم أجلسها مكانه. لكنه في هذه المرة اكتفى بإرسال نظرة إليها. فلما رأته على تلك الحال انكبت عليه تقبله وقد تساقطت الدموع على خدها وهي تقول: واكرب أبتاه. فأخذ ﷺ يلاطفها ويخفف من وطأتها وهو يقول: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» [صحيح البخاري].

فاطمة تبكي وتضحك

وبينما ﷺ يتحدث إلى فاطمة ويسارها بشيء إذا بها تبكي. فلم تلبث حتى دعاها وسارها مرة أخرى فضحكت. فلما سألتها عائشة فيما بعد عن هذا التحول السريع من البكاء إلى الفرح أجابت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

[السيرة النبوية لابن هشام]

النبي ﷺ يقبل الحسن والحسين

ودعا ﷺ الحسن والحسين فقبَّلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهنَّ وذكرهنَّ.

النبي ﷺ يدعو لأسامة

ودخل عليه أسامة بن زيد، فلما رآه رسول الله ﷺ جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه، فعرف أسامة أنه يدعو له. [السيرة النبوية لابن هشام].

النبي ﷺ يعظ زوجاته

فلما انتهى ﷺ من موعظة زوجاته ووصيته بالحسن والحسين؛ اشتد عليه المرض، وظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حيث أوقف الله جلت قدرته أثر السم خلال تلك السنين حتى يبلغ النبي دعوته ويكمل الدين. فلما حان يوم وفاته أمر الله السم أن يُحدث أثره وعلى الأبهر أن ينقطع حتى قال ﷺ: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم

الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» [صحيح البخاري] ، ولم يكتف ﷺ بمشهد الصحابة في الصلاة بل أكد على أهمية الصلاة حتى آخر وصية في حياته حيث قال: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» [سنن ابن ماجة] .

كان الرسول ﷺ مستنداً على عائشة، وكانت عائشة تفتخر بهذه النعمة التي منّ الله بها عليها فكانت تقول: «إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري» [صحيح البخاري] .

النبي ﷺ يطلب السواك

فدخل عليها عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده السواك. فلما رأته عائشة بيده، التفتت إلى رسول الله ﷺ فرأته يرمق أخاها بنظراته. فعرفت أنه يحب السواك. وكانت رضي الله عنها أعرف نسائه بأحواله حتى من خلال نظراته وهذا ما جعله يطمئن إليها ويقضي بقية أيامه عندها. حتى جعل الله وفاته في يوم عائشة. فقالت لرسول الله ﷺ : آخذه لك؟. فأشار برأسه أن نعم. فأخذت السواك من أخيها ثم أعطته لرسول الله ﷺ فاشتد عليه. فقالت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فأخذ ﷺ يستن، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**». ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**». فأخذت عائشة تمعن النظر إليه وهو يستن بها كأحسن ما كان مستناً. وبينما هو كذلك إذا ببصره يشخص نحو السقف، وشفتاه تتحرك. فأصغت عائشة إليه فإذا هو يقول: «**مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم الرفيق الأعلى**» [صحيح البخاري] .

ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير [صحيح البخاري].

أثر وفاته ﷺ على أصحابه

تسرب خبر وفاة رسول الله ﷺ في أرجاء المدينة، وأظلمت نواحيها، وتذكر أنس بن مالك رضي الله عنه يوم الهجرة يوم دخول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقارنه بهذا اليوم الذي مات فيه، فقال: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ [صحيح البخاري].

ولما علمت فاطمة بوفاة أبيها قالت: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. [صحيح البخاري].

عمر لم يصدق خبر وفاته ﷺ

أما عمر بن الخطاب لما بلغه الخبر أخذ يتوعد ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. [السيرة النبوية لابن هشام].

لقد كان هذا التصرف من عمر راجعًا إلى اجتهاد منه رضي الله عنه كما قال في اليوم الذي يليه: أما بعد، فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا. [صحيح البخاري].

موقف الصديق رضي الله عنه

أما أبا بكر فقد كان غائبًا عند زوجة له في موضع قريب من المدينة يدعى «السنح»، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين عندما بدا له الرسول ﷺ في صحة جيدة، فقال: يا نبي الله. إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة (زوجته)، أفآتيها؟ فأذن له ﷺ قائلاً: «نعم».

وبينما أبو بكر في موضعه بالسنح، إذا بسالم بن عبيد يأتيه مسرعًا فزعًا يجهش بالبكاء فتفرس أبو بكر هيئته ثم قال: لعل نبي الله توفي؟ فلم يستطع سالمًا أن يُصرِّح بالإجابة واكتفى بقوله: إن عمر بن الخطاب قال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا.

فلما أن بلغ الخبر أبا بكر أخذ بيد سالم وانطلق مسرعًا ولم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد، فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه حتى كاد يمس وجهه، حتى استبان أنه توفي فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا.

ثم رد الثوب على وجهه.

فقال الذين من حوله: يا صاحب رسول الله، أتوفي رسول الله؟

فأجاب الصديق بقوله: نعم.

قالوا: هل يصلي عليه؟

قال: نعم يجيء نفرٌ منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ الناس.

فعلموا أنه كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن؟

قال: حيث قبض الله روحه، فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب، فعرفوا أنه كما قال.

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ثم خرج وعمر يكلم الناس. فأشار بيده إلى عمر قائلاً: على رسلك يا عمر فأنصت.

فأبى عمر ﷺ إلا أن يسترسل في الكلام والوعيد. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس يكلمهم، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر.

وكانت جموع الناس تعبر إلى أبي بكر، وكانت العيون كلها متجهة إليه.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وما محمدٌ إلاَّ رسولٌ قدْ خلتْ من قبْله الرُّسُل أفإن مَّات أوْ قُتل انقلبْتُمْ علىٰ أعْقابكُمْ ومن ينقلبْ علىٰ عقبيْه فلن يضُرَّ اللّهَ شيْئًا وسيجْزي اللّهُ الشَّاكرين** ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فلما سمع الناس تلك المقولة العظيمة، والآية الكريمة استعادوا ذاكرتهم إلى الوراء وتذكروا وقت نزولها على رسول الله ﷺ وكأنهم يسمعونها لأول مرة فأخذوا يرددونها في أفواههم.

أما عمر بن الخطاب فقد بقي واقفًا في مكانه.. حاول أن يكمل وقوفه على الأرض إلا أنه لم يشعر بالقوة الكافية ليفعل فقال في نفسه:

والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرتُ حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات. [صحيح البخاري].

غسله وتجهيزه ﷺ

لقد بقيت جنازة الرسول ﷺ حتى يوم الثلاثاء. فانشغل الصحابة عنها حتى تم اختيار أبا بكر خليفة على المسلمين، إذ كيف يبقى المسلمون بدون حاكم يسوس قضاياهم.

فلما كان يوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، قالت عائشة: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره فكلمهم مكلمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكون بالقميص دون أيديهم.

عندئذ تذكرت عائشة رضي الله عنها مراد رسول الله ﷺ من قوله: «**ما ضرك لو مُتَّ قبلي، فقمتُ عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟**» فقالت رضي الله عنها: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه. [سنن أبي داود].

وقد شارك في غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي. فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره [السيرة النبوية لابن هشام].

ثم كفنوه في ثلاث أثواب. أدرجوه فيها أدراجًا.

واختلفوا في موضع دفنه، فما من خلاف حدث بينهم إلا حرصًا منهم تنفيذ تعاليم نبيهم.

فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قُبض نبي إلا دفن حيث يقبض**»، فرفع فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته.

دفنه ﷺ

ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خِر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ [السيرة النبوية لابن هشام].

ودخل الناس الحجرة أرسالاً عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد [السيرة النبوية لابن هشام].

وبينما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جالسة مع النساء في ليلة الأربعاء؛ إذا بصوت المساحي تعلو في جوف الليل فعلمن بدفن النبي ﷺ.

فلما دُفن رسول الله ﷺ قالت فاطمة لأنس بن مالك رضي الله عنه: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. [صحيح البخاري].

* * *

شعر حسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت ﷺ يبكي رسول الله ﷺ فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

بطَيْبَة رسم للرسول ومعهد   منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة   بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم   وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها   من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها   أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده   وقبراً بها واراه في الترب مُلحِد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت   عيون ومثلاها من الجفن تُسعد
يُذكرن آلاء الرسول وما أرى   لها محصيًا نفسي فنفسي تبلد
مُفجَّعة قد شفها فقد أحمد   فظلت لآلاء الرسول تُعدد
وما بلغت من كل أمر عشيرة   ولكن لنفسي بعد ما قد توَجد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركت   بلاد ثوى فيها الرشد المُسدد
وبورك لحد منك ضُمِّن طيبا   عليه بناء من صفيح مُنضد
تهيل عليه التُرب أيد وأعين   عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمة   عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم   وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه   ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلَت يومًا رزية هالك   رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم   وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به   ويُنقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدا   معلِّم صدق إن يطيعوه يُسعدوا

عفو عن الزلات يقبل عذرهم … وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمرٌ لم يقوموا بحمله … فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم … دليل به نهج الطريقة يُقصد
عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهُدى … حريص على أن يستقيموا ويهتدوا إلى كنف
عطوف عليهم لا يُثني جناحه … يحنو عليهم ويمهد
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا … إلى نورهم سهم من الموت مُقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعًا … يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحُرم وحشًا بقاعها … لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها … فقيد يبكينه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده … خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت … ديار وعرصات وربع ومولد
فبكّي رسول الله يا عين عبرة … ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي … على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي … لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد … ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعفُّ وأوفى ذمة بعد ذمة … وأقرب منه نائلاً لا يُنكدُ
وأبذل منه للطريف وتالد … إذا ضَنّ معطاءٌ بما كان يُتلد
وأكرم صيتًا في البيوت إذا انتمى … وأكرم جداً أبطحيًا يُسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا … دعائم عز شاهقات تُشيد
وأثبت فرعًا في الفروع ومنبتًا … وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه … على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه … فلا العلم محبوس ولا الرأي يُفند
أول ولا يُلفى لقولي عائب … من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواي نازعًا عن ثنائه … لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره … وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

الفهرس

الموضوع	الصفحة

بعض حقوقه عليكم وتكميلاً لإيمانكم وتعظيماً له ﷺ ومحبة وإكراماً وزيادة في حسناتكم وتكفيراً عن سيئاتكم» اهـ.

(١) صلاة الله على نبيه ﷺ

اختلف أهل العلم في المراد بهذه الصلاة على أقوال:

- أن صلاة الله على نبيه هي ثناؤه عليه عند الملائكة.
- أن صلاة الله على نبيه هي رحمته.
- أن صلاة الله على نبيه هي مغفرته.

وأولى الأقوال: هو قول من قال أن معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه عليه عند الملائكة.

(٢) صلاة الملائكة على النبي ﷺ

وصلاة الملائكة على النبي ﷺ هي الدعاء والاستغفار، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الملائكة تصلِّي على أحدكم ما دام في مصلاَّه الذي صلَّى فيه مالم يُحْدِث تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه» [متفق عليه].

(٣) صلاة المؤمنين على النبي ﷺ

وصلاة المؤمنين على النبي ﷺ هي الدعاء بأن يصلِّي الله عز وجل عليه، وهذا بيان لعظيم قدر الصلاة على النبي ﷺ حيث إن الله تعالى لم يتركها لخلقه، بل جعل صلاتهم عليه هو سؤاله سبحانه أن يُصلِّي على نبيه ﷺ.

فضائل الصلاة على النبي ﷺ

(١) صلاة الله على من صلى على النبي ﷺ:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ صلَّى عليَّ واحدة صلَّى الله عليه عشراً» [رواه مسلم].

(٢) مضاعفة أجر المصلي على النبي ﷺ :

عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والبشرى في وجهه، فقلنا: إنا لنرى البِشر في وجهك يا رسول الله، فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلَّمتُ عليه عشراً» . [رواه النسائي بإسناد صحيح]

(٣) رفع درجات المصلي على النبي ﷺ وحَط الخطيئات عنه :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «مَنْ صَلَّى عليَّ صلاة واحدة صلَّى الله عليه عشر صلوات، وحُطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» [رواه النسائي بإسناد جيد].

(٤) الأمان من الحسرة يوم القيامة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله عزَّ وجل ويصلُّون على النبيِّ ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب» [رواه أحمد ورجاله ثقات].

(٥) الخروج من الظلمات إلى النور :

قال ابن القيم في «الوابل الصيب»(ص/ ٧٢): «إن الذكر يوجب صلاة الله تعالى وملائكته على الذاكر ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى وملائكته إنما هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور وإذا حصلت لهم الصلاة من الله تبارك وتعالى وملائكته

وأخرجوهم من الظلمات إلى النور فأي خير لم يحصل لهم وأي شرٍّ لم يندفع عنهم؟!

فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله» اهـ.

صيغ الصلاة على النبي ﷺ

الصيغة الأولى :

عن أبي حميد الساعدي ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك؟ فقال رسول الله ﷺ : **«قولوا اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد»** [متفق عليه].

الصيغة الثانية :

عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»** [رواه البخاري].

الصيغة الثالثة :

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد ابن عبادة فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله تعالى أن نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك، قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله ﷺ : **«قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد»** [رواه مسلم].

الصيغة الرابعة :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك

هدية سمعتها من النبي ﷺ فقلت: بلى فأهدها لي، فقال: سألنا رسول الله ﷺ فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نُسلِّم قال: «قولوا: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد» [متفق عليه].

قلت: وهذه أصحُّ صيغ الصلاة على النبي ﷺ، وثمَّ صيغ أخرى، انظرها في كتاب «صفة صلاة النبي» للعلامة الألباني رحمه الله تعالى.

المواضع التي يستحب فيها الصلاة على النبي ﷺ

(١) عند دخول المسجد:

عند عبد الملك بن سعيد بن سويد قال: سمعت أبا حميد وأبا أسيد الأنصاري يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فَلْيسلِّمْ على النبي ﷺ ثم ليَقُلْ: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهُمَّ إني أسألك من فضلك».

[رواه أبو داود وإسناده جيد].

(٢) بعد إجابة المؤذن:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ فإنه من صلَّى عليَّ صلاة صلَّى الله بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة» [رواه مسلم].

(٣) في التشهد الأول والأخير:

عن كعب بن عجرة قال: أن النبي ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسول الله قد

علمنا كيف نسلّم عليك فكيف نصلّي عليك؟ قال: «قولوا اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» [رواه البخاري].

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في «صفة الصلاة» (ص/ ١٦٤): «فقد قالوا: يا رسول الله: قد علمنا كيف نسلم عليك (أي: في التشهد)، فكيف نصلّي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد.. الحديث، فلم يخص تشهداً دون تشهد، ففيه دليل على مشروعية الصلاة عليه في التشهد الأول أيضًا، وهو مذهب الإمام الشافعي، كما نصّ عليه في كتابه «الأم» وهو الصحيح عند أصحابه...» اهـ.

(٤) بين يدي الدعاء:

عن فضالة بن عبيد قال: سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في الصلاة ولم يذكر الله -عز وجل- ولم يُصلّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «عجل هذا» ثم دعاه ثم قال له ولغيره: «إذا صلّى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ وعلى آله وسلم ثم ليدع بعد بما يشاء» [رواه أحمد وإسناده لابأس به لحال حميد بن هانئ].

(٥) في صلاة الجنازة:

عند سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه أنه سأل أبا هريرة، كيف تصلي على الجنازة؟ فقال أبو هريرة: أنا لعمر الله أخبرك، أتّبعها من أهلها، فإذا وضعت كبّرت وحمدت الله وصليت على نبيه [رواه مالك وإسناده صحيح].

(٦) في كل مجلس:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما قعد قوم مقعداً لا يذكرون الله عز وجل فيه ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب» [رواه أحمد ورجاله ثقات].

الرسول ﷺ في الرفيق الأعلى يوم الاثنين

وفي يوم الاثنين وبينما الصحابة في صلاة الفجر وأبو بكر يصلي بهم، أراد ﷺ أن يطمئن إلى حالهم في الصلاة خلف إمامهم، وأن تقر عينه برؤيتهم في صفوف منتظمة قبل أن يفارقهم، فتحامل على نفسه حتى وقف على قدميه، ومد يده إلى الستارة ليرفعها ويرى الناس.

وبينما المسلمون على تلك الحال من الخشوع والانتظام إذا بالستر من حجرة عائشة ينكشف أمامهم ويظهر لهم وجه رسول الله ﷺ تعلوه ابتسامة مشرقة. فكاد المسلمون يفتتنون في صلاتهم فرحًا برسولهم الذي تخلف عنهم ثلاثة فروض، وقد عبر أنس بن مالك ﷺ بهذا المشهد حين قال: «وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحًا برسول الله ﷺ فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر» [صحيح البخاري].

ومما قاله أنس أيضًا: وما رأيت رسول الله ﷺ أحسن هيئة منه تلك الساعة.

فنكص أبو بكر على عقبيه، ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة. فلما اطمأن ﷺ على حال المسلمين وهم خلف إمامهم في صفوف منتظمة تبسم تبسم الرضى وضحك مسرورًا، ثم أشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة وأرخى الستر.

فاطمة تبكي

ولما ارتفع الضحى، دعا النبي ﷺ فاطمة ﵂، فلما جاءت ورأت أباها ممتدًا على الأرض لم تتمكن قواه أن تحمله. وكان من عادته ﷺ إذا رأى فاطمة

هب واقفًا وقبَّل ما بين عينيها ثم أجلسها مكانه. لكنه في هذه المرة اكتفى بإرسال نظرة إليها، فلما رأته على تلك الحال النكيت عليه تقبله وقد تساقطت الدموع على خدها وهي تقول: واكرب أبتاه. فأخذ ﷺ يلاطفها ويخفف من وطأتها وهو يقول: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» [صحيح البخاري].

فاطمة تبكي وتضحك

وبينما ﷺ يتحدث إلى فاطمة ويسارها بشيء إذا بها تبكي. فلم تلبث حتى دعاها وسارها مرة أخرى فضحكت. فلما سألتها عائشة فيما بعد عن هذا التحول السريع من البكاء إلى الفرح أجابت: سارني النبي ﷺ أنه يُقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

[السيرة النبوية لابن هشام]

النبي ﷺ يقبل الحسن والحسين

ودعا ﷺ الحسن والحسين فقبَّلهما، وأوصى بهما خيرًا، ودعا أزواجه فوعظهنَّ وذكرهنَّ.

النبي ﷺ يدعو لأسامة

ودخل عليه أسامة بن زيد، فلما رآه رسول الله ﷺ جعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليه، فعرف أسامة أنه يدعو له. [السيرة النبوية لابن هشام].

النبي ﷺ يعظ زوجاته

فلما انتهى ﷺ من موعظة زوجاته ووصيته بالحسن والحسين؛ اشتد عليه المرض، وظهر أثر السم الذي أكله بخيبر حيث أوقف الله جلت قدرته أثر السم خلال تلك السنين حتى يبلغ النبي دعوته ويكمل الدين. فلما حان يوم وفاته أمر الله السم أن يُحدث أثره وعلى الأبهر أن ينقطع حتى قال ﷺ: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم

الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم» [صحيح البخاري] ، ولم يكتف ﷺ بمشهد الصحابة في الصلاة بل أكد على أهمية الصلاة حتى آخر وصية في حياته حيث قال: «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم» [سنن ابن ماجة] .

كان الرسول ﷺ مستنداً على عائشة، وكانت عائشة تفتخر بهذه النعمة التي منّ الله بها عليها فكانت تقول: «إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري» [صحيح البخاري] .

النبي ﷺ يطلب السواك

فدخل عليها عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده السواك. فلما رأته عائشة بيده. التفتت إلى رسول الله ﷺ فرأته يرمق أخاها بنظراته. فعرفت أنه يحب السواك. وكانت ﵂ أعرف نسائه بأحواله حتى من خلال نظراته وهذا ما جعله يطمئن إليها ويقضي بقية أيامه عندها. حتى جعل الله وفاته في يوم عائشة. فقالت لرسول الله ﷺ : آخذه لك؟. فأشار برأسه أن نعم. فأخذت السواك من أخيها ثم أعطته لرسول الله ﷺ فاشتد عليه. فقالت: ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم. فلينته، فأخذ ﷺ يستن، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء فيمسح بها وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات». ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى». فأخذت عائشة تمعن النظر إليه وهو يستن بها كأحسن ما كان مستناً. وبينما هو كذلك إذا ببصره يشخص نحو السقف، وشفتاه تتحرك. فأصغت عائشة إليه فإذا هو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى. اللهم الرفيق الأعلى» [صحيح البخاري] .

ومالت يده ولحق بالرفيق الأعلى. إنا لله وإنا إليه راجعون.

مات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير [صحيح البخاري].

أثر وفاته ﷺ على أصحابه

تسرب خبر وفاة رسول الله ﷺ في أرجاء المدينة، وأظلمت نواحيها، وتذكر أنس بن مالك رضي الله عنه يوم الهجرة يوم دخول رسول الله ﷺ إلى المدينة، وقارنه بهذا اليوم الذي مات فيه، فقال: ما رأيت يومًا قط كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه رسول الله ﷺ، وما رأيت يومًا كان أقبح ولا أظلم من يوم مات فيه رسول الله ﷺ [صحيح البخاري].

ولما علمت فاطمة بوفاة أبيها قالت: يا أبتاه، أجاب ربًا دعاه.. يا أبتاه، من جنة الفردوس مأواه.. يا أبتاه، إلى جبريل ننعاه. [صحيح البخاري].

عمر لم يصدق خبر وفاته ﷺ

أما عمر بن الخطاب لما بلغه الخبر أخذ يتوعد ويقول: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات. [السيرة النبوية لابن هشام].

لقد كان هذا التصرف من عمر راجعًا إلى اجتهاد منه رضي الله عنه كما قال في اليوم الذي يليه: أما بعد، فإني قلت لكم أمس مقالة وإنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله ﷺ، ولكنني كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا. [صحيح البخاري].

موقف الصديق رضي الله عنه

أما أبا بكر فقد كان غائبًا عند زوجة له في موضع قريب من المدينة يدعى «السنح»، وكان قد استأذن رسول الله ﷺ بعد صلاة الفجر من يوم الاثنين عندما بدا له الرسول ﷺ في صحة جيدة، فقال: يا نبي الله. إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب، واليوم يوم بنت خارجة (زوجته)، أفآتيها؟ فأذن له ﷺ قائلاً: «نعم».

وبينما أبو بكر في موضعه بالسنح، إذا بسالم بن عبيد يأتيه مسرعًا فزعًا يجهش بالبكاء فتفرس أبو بكر هيئته ثم قال: لعل نبي الله توفي؟ فلم يستطع سالمًا أن يُصرّح بالإجابة واكتفى بقوله: إن عمر بن الخطاب قال: لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا.

فلما أن بلغ الخبر أبا بكر أخذ بيد سالم وانطلق مسرعًا ولم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد، فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه حتى كاد يمس وجهه، حتى استبان أنه توفي فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا.

ثم رد الثوب على وجهه.

فقال الذين من حوله: يا صاحب رسول الله، أتوفي رسول الله؟

فأجاب الصديق بقوله: نعم.

قالوا: هل يصلي عليه؟

قال: نعم يجيء نفرٌ منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ الناس.

فعلموا أنه كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن؟

قال: حيث قبض الله روحه، فإنه لم يقبضه إلا في موضع طيب، فعرفوا أنه كما قال.

وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ثم خرج وعمر يكلم الناس. فأشار بيده إلى عمر قائلاً: على رسلك يا عمر فأنصت.

فأبى عمر ﷺ إلا أن يسترسل في الكلام والوعيد. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس يكلمهم، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر.

وكانت جموع الناس تعبر إلى أبي بكر، وكانت العيون كلها متجهة إليه.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

فلما سمع الناس تلك المقولة العظيمة، والآية الكريمة استعادوا ذاكرتهم إلى الوراء وتذكروا وقت نزولها على رسول الله ﷺ وكأنهم يسمعونها لأول مرة فأخذوا يرددونها في أفواههم.

أما عمر بن الخطاب فقد بقي واقفًا في مكانه.. حاول أن يكمل وقوفه على الأرض إلا أنه لم يشعر بالقوة الكافية ليفعل فقال في نفسه:

والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرتُ حتى ما تقلني رجلاي وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها أن النبي ﷺ قد مات. [صحيح البخاري].

غسله وتجهيزه ﷺ

لقد بقيت جنازة الرسول ﷺ حتى يوم الثلاثاء. فانشغل الصحابة عنها حتى تم اختيار أبا بكر خليفة على المسلمين، إذ كيف يبقى المسلمون بدون حاكم يسوس قضاياهم.

فلما كان يوم الثلاثاء غسلوا رسول الله ﷺ من غير أن يجردوه من ثيابه، قالت عائشة: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه، فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره فكلمهم مكلمٌ من ناحية البيت لا يدرون من هو: أن غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكون بالقميص دون أيديهم.

عندئذ تذكرت عائشة ﵂ مراد رسول الله ﷺ من قوله: «ما ضرك لو متُّ قبلي، فقمت عليك وكفنتك، وصليت عليك ودفنتك؟» فقالت ﵂: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه. [سنن أبي داود].

وقد شارك في غسله العباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب، والفضل وقثم ابني العباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولي. فكان العباس والفضل وقثم يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره [السيرة النبوية لابن هشام].

ثم كفنوه في ثلاث أثواب. أدرجوه فيها أدراجًا.

واختلفوا في موضع دفنه، فما من خلاف حدث بينهم إلا حرصًا منهم تنفيذ تعاليم نبيهم.

فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما قُبض نبي إلا دفن حيث يقبض**»، فرفع فراشه الذي توفي عليه، فحفر تحته.

دفنه ﷺ

ولما أرادوا أن يحفروا لرسول الله ﷺ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة، فكان يلحد، فدعا العباس رجلين، فقال لأحدهما: اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة. اللهم خر لرسول الله ﷺ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة، فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ [السيرة النبوية لابن هشام].

ودخل الناس الحجرة أرسالاً عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحد، وصلى عليه أولاً أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان. ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد [السيرة النبوية لابن هشام].

وبينما أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جالسة مع النساء في ليلة الأربعاء؛ إذا بصوت المساحي تعلو في جوف الليل فعلمن بدفن النبي ﷺ.

فلما دُفن رسول الله ﷺ قالت فاطمة لأنس بن مالك رضي الله عنه: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب. [صحيح البخاري].

* * *

شعر حسان بن ثابت

وقال حسان بن ثابت ﷺ يبكي رسول الله ﷺ فيما حدثنا ابن هشام عن أبي زيد الأنصاري:

بطَيْبَةَ رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحي الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آثار وباقي معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآي منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه في الترب مُلحِد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تُسعد
يُذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصيًا نفسي فنفسي تبلد
مفجّعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تُعدد
وما بلغت من كل أمر عشيرة ... ولكن لنفسي بعد ما قد توَجد
فبوركتَ يا قبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشد المُسدد
وبورك لحد منك ضُمِّن طيبا ... عليه بناء من صفيح مُنضد
تهيل عليه التُرب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلمًا وعلمًا ورحمةً ... عشية علوه الثرى لا يوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكي السماوات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يومًا رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحي عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدي به ... ويُنقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهدًا ... معلِّم صدق إن يطيعوه يُسعدوا

عفو عن الزلات يقبل عذرهم … وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمرٌ لم يقوموا بحمله … فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبينا هم في نعمة الله بينهم … دليل به نهج الطريقة يُقصد
عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهُدى … حريص على أن يستقيموا ويهتدوا إلى كنف
عطوف عليهم لا يُثني جناحه … يحنو عليهم ويمهد
فبيناهم في ذلك النور إذ غدا … إلى نورهم سهم من الموت مُقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعًا … يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحُرم وحشًا بقاعها … لغيبة ما كانت من الوحي تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها … فقيد يبكيه بلاط وغرقد
ومسجده فالموحشات لفقده … خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت … ديار وعرصات وربع ومولد
فبكّي رسول الله يا عين عبرة … ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لا تبكين ذا النعمة التي … على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولي … لفقد الذي لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد … ولا مثله حتى القيامة يُفقد
أعفُّ وأوفى ذمة بعد ذمة … وأقرب منه نائلاً لا يُنكدُ
وأبذل منه للطريف وتالد … إذا ضَنَّ معطاءٌ بما كان يُتلد
وأكرم صيتًا في البيوت إذا انتمى … وأكرم جداً أبطحيًا يُسود
وأمنع ذروات وأثبت في العلا … دعائم عز شاهقات تُشيد
وأثبت فرعًا في الفروع ومنبتًا … وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليدًا فاستتم تمامه … على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه … فلا العلم محبوس ولا الرأي يُفند
أقول ولا يُلفى لقولي عائب … من الناس إلا عازب العقل مُبعد
وليس هواي نازعًا عن ثنائه … لعلي به في جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره … وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

الفهرس

الموضوع	الصفحة